المضامين الفكرية فى الرواية العبرية الحديثة.

" دراسة وصفية في رواية "من النيل للأردن" لعادا أهاروني"

השלכות האינטלקטואליות ברומן העברית המודרנית

עבודה ברומן " מהנילוס לירדן " לעדה אהרוני

The intellectual implications In the modern Hebrew novel

Study In The novel "From the Nile to Jordan" by Ada Aharoni

رجـــاء ربيـــع علـــى عريـــف

ملخص البحث

تتناول الباحثة من خلال هذه الدراسة الوصفية ، دراسة المضامين الفكرية في الرواية العبرية الحديثة ، وذلك من خلال دراسة رواية " من النيل إلى الأردن" للأديبة عادا أهاروني ؛ تلك الرواية التي تعد بمثابة سيرة ذاتية لها ، وللطائفة اليهودية في مصر؛ حيث تتناول الأديبة حياة عائلتها وأسرتها في مصر منذ القرن التاسع عشر حتي إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وهجرة اليهود من مصر .

فهذه الرواية تكشف لنا الكثير من الأسرار والاعترافات والحقائق الاجتماعية والتاريخية ، وتطلعنا على الصراعات الداخلية لدى اليهودي المصري ، كما تكتسب لدى القرّاء أهمية خاصة.

وتتمحور المضامين الفكرية فى رواية "من النيل إلى الأردن"، حول أولاً: صورة مصر في رواية " من النيل إلى الأردن "، والتي انقسمت إلى قسمين أ–الصورة الإيجابية لمصر،
ب–الصورة السلبية لمصر، ثانياً: الشوق إلى فلسطين " أرض الميعاد"، ثالثاً: إشكالية الهوية ،رابعاً: الاغتراب ، خامساً : النشاط الصهيوني ودعم الصهيونية من يهود مصر ، سادساً : الملامح والأبعاد الاجتماعية و الفنية الثقافية ليهود مصر.

مقدمة

- موضوع الدراسة :

يتناول البحث دراسة المضامين الفكرية في الرواية العبرية الحديثة ، وذلك من خلال دراسة وصفية لرواية " من النيل إلى الأردن" للأديبة عادا أهاروني ، تلك الرواية التي تعد بمثابة سيرة ذاتية لها ، وللطائفة اليهودية في مصر؛ حيث تتناول الأديبة حياة عائلتها وأسرتها في مصر منذ القرن التاسع عشر حتي إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وهجرة اليهود من مصر ، كما أن الرواية تكتسب لدى القرّاء أهمية خاصة ؛ حيث تكشف الكثير من الأسرار والاعترافات والحقائق الاجتماعية والتاريخية ، بالإضافة إلى الصراعات الداخلية لدى اليهودي المصري.

- سبب اختيار موضوع الدراسة :

على ضوء ما سبق جاء اختيار الباحثة لرواية " من النيل إلى الأردن" ، لتكون محور البحث الذي يحمل عنوان " المضامين الفكرية فى الرواية العبرية الحديثة.. " دراسة وصفية في رواية " من النيل للأردن " لعادا أهاروني"، وسوف يركز البحث على تحليل المضامين الفكرية والاجتماعية والثقافية للرواية التي تدور أحداثها حول وضع وأحوال يهود مصر وخاصة في القرن التاسع عشر ، ومنح مصر الحرية الكاملة لليهود المصريين ممارسة أنشطتهم الصهيونية .

- أهمية الدراسة :

- أهمية الرواية لكونها تعد تجربة وسيرة ذاتيه عاشتها الكاتبة عادا أهاروني بنفسها ، بالإضافة إلى كونها تتناول وضع الطائفة اليهودية في مصر في أربعينيات القرن العشرين .

- أهمية الأديبة عادا أهاروني بوصفها أهم وأبرز الأديبات الإسرائيليات على ساحة الأدب العبري الحديث.

- مكانة مصر لدى اليهود بصفة عامة ، الأديبة عادا أهاروني بصفة خاصة بوصفها إحدي أبناء مصر الذين ولدوا وتربوا ونعموا بخيراتها ، وقد عبرت في كثير من أعمالها عن حبها وشوقها الشديد لمصر.

- توضيح وتقديم رؤية إسرائيلية لوضع وأحوال يهود مصر في التاسع عشر بصورة مختلفة عن الأطروحات الصهيونية التي تقوم بتزييف بعض الأحداث وتشويه التاريخ .

-أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى:

- التعريف بأدبية إسرائيلية ، وكشف وتحليل رؤيتها لوضع وأحوال يهود العراق في النصف الأول من القرن العشرين .

- عرض حال يهود مصر منذ القرن التاسع عشر وحتى هجرتهم ، وقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، من خلال وجهة نظر إسرائيلية جديرة بالدراسة

- الكشف عن الاتجاهات الأيديولوجية فى الرواية .

- فتح المجال لمزيد من الدراسات في هذا الجانب .

- مصادر الدراسة:

اعتمدت الدراسة بشكل رئيسي على رواية " من النيل إلى الأردن " " **מהנילוס לירדן**" للكاتبة الإسرائيلية عادا إهاروني " **עדה אהרוני" ، والتي صدرت عام ١٩٩٢م** ، ثم أعادت نشرها بتصرف ، مع تغيير بعض الأسماء والأحداث والشخصيات عام ٢٠١٧م ، وتبلغ عدد صفحاتها ١٩٣ صفحة ، وهي من إصدار دار النشر الإسرائيلية" תמוז "تموز - " **תל אביב - ישראל** " تل أبيب – إسرائيل .

- تساؤلات الدراسة :

تحاول الباحثة من خلال هذه الدراسة الوصول إلى إجابة على عدة تساؤلات وفرضيات ، كما تسعى بالفعل الباحثة إلى اختيار بعض الفرضيات التي تضعها أمامها من خلال تلك الدراسة والتي تتمثل فيما يلي:

-هل نص الرواية له علاقة بحياة الكاتبة الواقعية أم الفكرية؟

-هل كانت الكاتبة صادقة في تناول الأحداث التي شكلت واقع وحياة الطائفة اليهودية في مصر ؟

- كيف قامت الكاتبة باستغلال تقنية الوصف لتجعل من روايتها لوحة فنية جمالية؟

-هل تم حظر اليهود المصريين من ممارسة اليهود أنشطتهم الصهيونية في مصر؟

- هل باحت الكاتبة للقارئ بخبايا تاريخ يهود مصر؟ أم أنها أخفت أكثر مما أظهرت ؟

-ما الدلالات التي تومىء إليها الكاتبة وراء استدعائها تاريخ يهود مصر في القرن التاسع عشر ؟

- منهجية الدراسة:

سوف تتبع الباحثة المنهج الوصفى التحليلي في الدراسة من خلال تحليل الرواية موضوع الدراسة من الجانبين الموضوعي والفني ؛ وذلك بهدف معرفة حال ووضع يهود مصر في القرن التاسع عشر حتى هجرتهم في عام ١٩٤٨.

- الدراسات السابقة :

تجدر الإشارة إلى وجود دراسة سابقة للرواية تحت عنوان أزمة الهوية والإنتماء لدى أبناء الطائفة اليهودية في مصر في رواية من النيل للأردن ــ دراسة نقدية عام ٢٠١٤ ، لأستاذي الدكتور الجليل منصور عبدالوهاب ، إلا أن الباحثة قد تناولت الرواية بالدراسة الوصفية وليست بالدراسة النقدية ــ كما تناولها أستاذنا الدكتور منصور عبدالوهاب ــ رغم وحدة الرواية ، فالمصدر واحد ولكن الواردين شتى.

ومن ناحية أخرى تناولت الباحثة الرواية في ثوبها الجديد بعد أن نقحتها الأديبة في طبعة ٢٠١٧ ، وغيرت في بعض الأحداث والأسماء والشخصيات ، بيد أن أستاذي الدكتور منصورعبدالوهاب قد تناول الرواية في طبعة ١٩٩٢ م . كما أن موضوع البحث يعد إضافة جديدة للدراسات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت حال يهود مصر قبل الهجرة من مصر إلى إسرائيل .

- تقسيم الدراسة :

♦ قد قسمت الباحثة هذه الدراسة الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو :

المبحث الأول : يتناول نبذة عن يهود مصر ، وحياة الكاتبة عادا أهاروني ، وعرض مضمون رواية " من النيل إلى الأردن" ، وتعريف بالرواية .

المبحث الثاني: بعنوان المضامين الفكرية فى رواية "من النيل إلى الأردن"، وتشمل أولاً : صورة مصر في رواية " من النيل إلى الأردن "، وتنقسم إلى قسمين أ-الصورة الإيجابية لمصر،
ب-الصورة السلبية لمصر، ثانياً: الشوق إلى فلسطين " أرض الميعاد"، ثالثاً: إشكالية الهوية ،
رابعاً: الاغتراب ، خامساً : النشاط الصهيوني ودعم الصهيونية من يهود مصر ، سادساً : الملامح والأبعاد الاجتماعية و الفنية الثقافية ليهود مصر.

وينتهي البحث بخاتمة تمثل حصيلة للاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة خلال الدراسة ، وأخيراً تستعرض الباحثة قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

- صعوبات واجهتها الباحثة:

لقد واجهت الباحثة صعوبات كثيرة عند كتابة البحث ؛ وذلك لعدم توافر المراجع المتعلقة بموضوع المضامين الفكرية في الرواية العبرية الحديثة بالشكل الكافي من ناحية ، وبرواية " من النيل إلى الأردن " من ناحية أخري.

هذا وما كان من صواب فأحمد الله عليه وما كان غير ذلك فالكمال لله وحده ، وإني لآمل أن يوفقني الله فيما يسره ليّ وهدانيّ إليه ، وأتمني أن تكون هذه الدراسة نفعاً لكل قارئ وباحث إن شاء الله ، فنسأل الله التوفيق والسداد ، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه تعالي ، وهو نعم المولي ونعم النصير.

المبحث الأول

يهود مصر:

هم الجالية اليهودية التي كانت تسكن مصرقبل قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨، وقد كانت تلك الجالية من أضخم الجاليات اليهودية في العالم ، وأكثرهم تطوراً في كافة المجالات في مصر. وتؤكد المصادر التاريخية أن تواجد اليهود بمصر يرجع إلى سنة ١٦٥٠ قبل الميلاد ؛وذلك حينما جاء يعقوب وأولاده ، واستقروا بها بعد خروج النبي موسى عام ١٣٠٠ قبل الميلاد ، وكانت أهم طائفة استقرت بمصر ، تلك الطائفة التى جاءت بعد فتح الإسكندر لفلسطين عام ٣٢٢ قبل الميلاد . وقد واجه اليهود بمصر العديد من التقلبات حتى جاء الفتح العربي ، الذي منحهم الاستقرار والإزدهار . وكذلك أيضاً الفتح العثماني لمصرعام ١٥١٧ ، الذي منحهم العديد من الامتيازات . وقد شهد القرن التاسع عشر ازدهاراً ملحوظاً للجالية اليهودية ؛ حيث جاء إلى مصر أعداد كبيرة من يهود أوروبا ، وتمتعوا بفرص كثيرة للعمل في المجالات التجارية والمالية ، وساعدهم ذلك في زياة أعدادهم ،والتوسع في بناء المعابد والمدارس والمستشفيات خاصة بهم . بالإضافة إلى استمرار أسرة محمد على في استخدام سياسة فتح أبواب الهجرة ألى مصر أمام اليهود والأجانب. تلك السياسة التي استخدامها أيضاً الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ . وقد حصل الكثير من يهود مصر على الجنسية الأجنبية ؛ وذلك بغرض استفادتهم بالإمتيازات الأجنبية ، وعدم خضوعهم للسلطات المصرية.(١) .

وقد انقسم اليهود في مصر إلى ثلاثة شرائح : الشريحة العليا وتضم العائلات الاستقراطية الثرية التي تمتعت بالثروة والمكانة الاجتماعية ،ومنهم على سبيل المثال موصيري وشيكوريل و قطاوي ، وغيرهم. الشريحة الثانية وتضم رجال الأعمال البارزين في الاستيراد والتصدير والصيرفة والبورصة ، وعدد كبير من الموظفين اليهود في المؤسسات الحكومية والخاصة. أما الشريحة الثالثة تضم الباعة الجائلين والحرفيين وفقراء اليهود . أما عن التقسيم الطائفي لليهود في مصر فقد انقسم إلى قسمين :الطائفة الأولى طائفة اليهود الحاخامية ، وكانت تضم أغلبية يهود مصر . أما الطائفة الثانية طائفة القرائين ، وكان عدد تلك الطائفة محدود جداً. ويؤكد بعض المؤرخين اليهود بأن عدد اليهود في مصر في بداية القرن العشرين لم يزد عن ٢٥ ألفاً (٢).

صورة مصر في الأدب العبري القديم والوسيط والحديث:

رغم مانعم به اليهود في مصر من خير وفير إلا أن العهد القديم وصف مصر بأنها بيت العبودية والغربة. والصورة العامة لمصر في الأدب العبري القديم يغلب عليها الشق السيء الذي ارتبط في ذهن اليهود بأن مصر رمز للاضطهاد والغربة والعبودية. أما في الأدب العبري الوسيط فقد تمتع اليهود بالحرية الدينية والثقافية والاجتماعية تحت الحكم الإسلامي في الأ ندلس ؛ حيث منحوهم حرية لم يألفوها من قبل ، وأطلق على هذه الفترة " **תור הזהב**" العصر الذهبي ، وقد برزت صورة مصر لدى اليهود في الأدب العبري الوسيط ، ومن هؤلاء " **יהודה הלוי** "

---

(١) عواطف عبد الرحمن :المشروع الصهيونى الاختراق الصهيونى لمصر من ١٩١٧ ، العربي للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٧ ، ص ١٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ .

يهودا اللاوي ، الذي كتب قصائد شعرية تحدث فيها عن معاملة المصريين الطيبة لليهود ، والصورة العامة لمصر في الأدب العبري الوسيط مزيج من الإيجابية والسلبية. أما في الأدب العبري الحديث فقد أخذت صورة مصر تظهر على ساحة هذا الأدب منذ بداياته مع ظهور حركة الهسكالاه . وقا انقسم الأدباء الذين تناولوا مصر في أدبهم إلى ثلاثة فرق : الفريق الأول قرأ عن ولم يزورها مثل " **נפתלי הירש ויזל** " نفتالي هيرش فيزل في ملحمته الشعرية " שירי תפארת " أشعار المجد ، الفريق الثاني زار مصر وكتب عنها مثل "יהודה עמיחי" يهودا عميحاي في قصته " **הסכר באסואן** " السد في أسوان ، أما الفريق الثالث هم الأدباء اليهود الذين يعودون بجذورهم إلى الأصل المصري (١) مثل " **עדה אהרוני** "عادا أهاروني – محل الدراسة – ، التي قد كتبت ثلاثة كتب عن مصر تناولت فيهم حياة يهود مصر ، بالإضافة عن رواية " **מהנילוס לירדן** " من النيل إلى الأردن ، التي سيتناولها البحث بالدراسة والتحليل .

• حياة الكاتبة عادا أهاروني " עדה אהרוני ".

أديبة وشاعرة ومتخصصة في علم الاجتماع ، ولدت في مدينة القاهرة بمصر عام١٩٣٣ ، وهاجرت إلى إسرائيل عام ١٩٥٠ ، وتعيش اليوم في حيفا ، حصلت على درجة الليسانس في الأدب وعلم الاجتماع من الجامعة العبرية في القدس ، حصلت على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة لندن ، كما حصلت على الدكتوراة من الجامعة العبرية ، وتحاضر في مجال فض النزاعات في معهد التخنيون " **הטכניון** " بحيفا.

وقد نشرت ٣٢ كتابًا ، بما في ذلك : الروايات التاريخية ، والسير الذاتية ، والشعر ، وكتب التاريخ وعلم الاجتماع ، وكتب الأطفال. وقد حصلت على العديد من الجوائز في إسرائيل وحول العالم ، بما في ذلك: جائزة المجلس الثقافي البريطاني للشعر عام ١٩٧٢ ، وجائزة السلام من الرئيس شيمون بيريز عام ١٩٨٦ ، وجائزة التاج الذهبي الدولى في نيويورك عام ١٩٩٢، وجائزة حيفا وبرمان ووزارة التعليم عام ١٩٩٥ ، وجائزة راحيل ، وياورن جولان في تل أبيب عام ١٩٩٨، كما حصلت على جائزة المجتمع العالمى لبحث تاريخ يهود مصر في نيويورك عام ٢٠٠٠. بالإضافة إلى كونها الرئيس المؤسس لرابطة إيفلاك –المنتدى الإسرائيلي والدولي للأدب وثقافة السلام. وقد تم ترجمت الكثير من أعمالها الأدبية إلى عدة لغات مختلفة.

- **أعمالها الأدبية :**
- **أولاً:الروايات:**

-رواية "יציאת מצרים השנייה " " الهجرة الثانية من مصر " صدرت عام ١٩٨٥ .

-رواية " זכרונות מאלכסנדריה " " ذكريات من الأسكندرية " صدرت عام ١٩٨٥ .

-رواية " קירוב לבבות" " تآلف القلوب" صدرت عام ٢٠١٠ .

--رواية " מהנילוס לירדן " " من النيل إلى الأردن " صدرت عام٢٠١٧ .

(١) جمال الشاذلي : صورة مصر فى رواية "المنفيون" لدييورا بارون ، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة ، مج ١٧ ، ٢٠٠٥ ، ص ٣- ٧

- **ثانياً:المسرحيات:**

- مسرحية "ענבר" "عنبر " صدرت عام ١٩٨٠م .

-مسرحية "יום דבש וים בצל" " يوم عسل ويوم بصل" صدرت عام ١٩٨٦.

--مسرحية " יציאת מצרים השנייה" "الخروج الثاني من مصر " صدرت عام ١٩٩٩م .

-مسرحية "דליה בת הנילוס" " داليا بنت النيل " صدرت عام ١٩٩٩.

-مسرحية "דליה בת הנילוס" " داليا بنت النيل " صدرت عام ١٩٩٩.

- **ثالثاً:الشعر:**

- شعر " מהפירמידות לכרמל " من الأهرامات إلى الكرمل " صدرت عام ١٩٧٩
- شعر שבוע ירוק " الأسبوع الأخضر صدرت عام ١٩٨٦

- شعر מתכת של ויולט صدرت عام ١٩٨٧
- شعر שירים לישראל أغاني لإسرائيل صدرت عام ١٩٩٢
- شعر נשימה التنفس صدرت عام ١٩٩٢
- شعر ביער הכרמל שלי في غابتي الكرمل صدرت عام ١٩٩٣
- شعرבחיק כפות ידיך في باطن كف يديك صدرت عام ١٩٩٤
- شعر את ואני נשנה את העולם أنت وأنا سنغير العالم صدرت عام ١٩٩٩
- شعر نשים – יצירת עולם מעבר למלחמה ואלימות النساء يصنعون عالم خالى من الحروب والعنف صدرت عام ٢٠٠٥
- شعر שירי שלום أشعار السلام صدرت عام ٢٠١٢ .

رابعاً : المقالات :

- مقالة "תרבות כגורם המוביל להשכנת השלום" الثقافة كمصدر يؤدى للإحلال السلام.
- مقالة "רשימת נושאים להרצאות על ידי פרופסור עדה אהרוני" قائمة لموضوعات محاضرات البروفيسور عادا آهارونى.
- مقالة "פרח השלום" زهرة السلام.
- مقالة "כל הכבוד לאפרים קישון" كل الاحترام "لأفريم قيشون".
- مقالة "תרבות וספרות עברית לאן" الحضارة والأدب العبرى إلى أين.
- مقالة "הסכנה הגדולה של הערצת המחבלים המתאבדים" الخطر الأكبر في تبجيل المخربين المنتحرين.
- مقالـــــة "לנה : ליגת נשים למען השלום במזרח התכון – תרבות כגורם העשוי להוביל להשכנת שלום" لانا : عصبة النساء من أجل السلام في الشرق الأوسط – الحضارة كعنصر من شأنه أن يؤدى لإحلال السلام .
- مقالة " תרבות הפלורליסטית של יהודי מצרים" ثقافة التعددية ليهود مصر.
- مقالة "ההגירה הכפויה של היהודים ממדינות ערב" الهجرة المفروضة على اليهود من الدول العربية .

خامساً : الترجمة :

- قامت عادا أهاروني بترجمة كتاب " ש' שלום، השירים החדשים " " ش . شالوم .أشعار جديدة " ،كما أن الكتاب يحتوي على ثلاثة قصائد من تأليف عادا آهارونى) عام ١٩٨٥.

- **نشرت ترجمتها لأفضل الشعراء الإسرائيليين في دوريات في إسرائيل والعالم مثل " יהודה עמיחי" يهودا عميحاى، "לאה גולדברג" ليئا جولدبرج ، "אמיר גלבוע" أمير جلبوع، "רחל" راحيل ، "זלדה" زلدا ، وغيرهم** (١).

• <u>عرض مضمون رواية من النيل إلى الأردن " מהנילוס לירדן":</u>

تدور أحداث الرواية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين ، حول حياة بطلة الرواية لورا ، الذي كان والدها يعمل قاضياً ويسمى موصيري ، وكانت تعيش هي ووالدها وأمها وجدتها في الإسكندرية ، درست في مدراس إنجليزية منذ إن كانت طفلة ، وتحب قراءة الأدب الإنجليزي ، رغم أن جنسيتها هي الجنسية الفرنسية إلا أنها لم تشعر بأنها فرنسية ؛ حيث كانت ثقافتها إنجليزية ، ثم عملت أستاذة جامعية في الجامعة العبرية بالقدس بعد هجرتها من مصر، وكانت لورا يهودية صهيونية ، فانضمت لحركة المكابي الطلائعية الصهيونية ، وفي أثناء رحلات نادي المكابي التابع لحركة مكابي الطلائعية تعرفت على حبيبها روبي ؛ الناجي من معسكرات النازي في ألمانيا .

وتستعرض الرواية الأحداث التي شهدها يهود مصر، في تلك الفترة، وكذلك الحركة الصهيونية في مصر في تلك الفترة، وحلم لورا (الشباب اليهود)في الهجرة إلى أرض فلسطين وإنشاء وطن خاص باليهود ، على الرغم من حبها لمصر وامتنانها لرعاية مصر لليهود عبر السنوات الطويلة التي عاشوها في مصر، وعلاقاتهم الطيبة بالمصريين إلا أن الأحداث السياسية التي طرأت على مصر في تلك المرحلة، وكذلك الحرب العالمية الثانية وما مر به اليهود على يد النازي، قد دفعت اليهود إلى الهجرة من ألمانيا وأوروبا إلى مصر؛ وعاشوا حياة كريمة في مصر ، وتمتعوا بخيراتها ، وتبؤوا أعلى الوظائف والمناصب ، حتى جاءت الحركة الصهيونية واستغلت بعض الأحداث ؛

---

(١) אתר " לקסיקון הספרות העברית החדשה : https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00373.php

- פרופי עדה אהרוני : דרכי תקוה :
https://www.hopeways.org/h_index.htm?page=h_ada01
- אתר הבית של עדה אהרוני :
http://www.iflac.com/ada/heb
- אתר האינטרנט הרשמי של עדה אהרוני :
http://www.adaaharoni.com
- *https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%A2%D7%93%D7%94_%D7%90%D7%94%D7%A8%D7%95%D7%A0%D7%99*

- *https://en.wikipedia.org/wiki/Ada_Aharo n*

يوم ١٥-١-٢٠٢٠ الساعة العاشرة وخمس دقائق صباحاً.

للضغط على اليهود ودفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين ، وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وتأميم مصر أموال العائلات اللإقطاعية في مصر ، ومصادرة أموالهم وأملاكهم ، وكان منهم يهود ، غادر اليهود مصر ، وتوجه بعضهم إلى إسرائيل، والبعض الأخر إلى أوروبا ، ومنهم لورا بطلة الرواية ووالدها ؛ حيث هاجرا إلى باريس . وعندما وصلا باريس ، علم والد لورا في البنك السويسري أن الحكومة المصريه قامت بمصادرة أمواله ،فأصيب بأزمة قلبية ، وعندما تم شفاءه قرر السفر إلى إسرائيل ؛ حيث كان يمتلك قطعة أرض هناك ، وعندما وصل علم أن دولة إسرائيل قد أخذت قطعة الأرض ، وقامت ببناء بوابة للقطار عليها ، فأصيب بأزمة قلبية مرة أخرى ، وتوفي في باريس . فسافرت لورا إلى إسرائيل ، واستقرت في الكيبوتس الإسرائيلي " דגניה " دجانيا ، وقابلت حبيبها روبي الذي غادر مصر قبل خمس سنوات من لقائه في إسرائيل ،حيث انقطع أخباره بعد تلك الليلة التي قضياها سويا في دار الأوبرا المصرية ، وحدوث حريق دار الأوبرا ، وإحداث شغب ، وإصابته ونقله للمستشفى ، وزيارتها له ، ثم مغادرته مصر دون إخبارها.

وتعرض لورا في نهاية الرواية موقفها الشخصي من الصراع العربي الإسرائيلي ، وأنه قد حان الوقت لحل هذا الصراع وقيام الدولة الفلسطينية. وتعبرعن تفهمها لمعاناة الشعب الفلسطيني، لأنها تعتبر أن ما مر به اليهود في تلك الفترة أيضًا وإجبارهم على ترك ممتلكاتهم في البلدان العربية التي عاشوا فيها والهجرة منها نكبة تشبه نكبة الفلسطينيين".

- **تعريف بالرواية :**

تستند الرواية على التجربة الذاتية للأديبة عادا أهاروني ؛ فالرواية بمثابة سيرة ذاتية لها ، والتي مثلتها بطلة الرواية (لورا) بنفس الأحداث التى مرت بها الأديبة ، وحول تلك الأحداث تقول الأديبة عادا أهاروني : " تدمرت عائلتي بعد تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ؛ حيث ألغت الحكومة المصرية تصريح عمل والدي الخاص بتاجر الدقيق والتوابل ، فلم يتمكن والدي من توفير متطلبات الحياة لأسرتي فقرر مغادرتنا مصر ، فغادرنا مصر تاركين كل شيء ، فلم نأخذ سوى الملابس الضرورية التي نحتاج إليها، وكان والدي يعتمد على أمواله التي كانت في فرع أحد البنوك الأجنبية في القاهرة ، آملًا في مساعده تلك الأموال على بدء حياة جديدة في إسرائيل ، فغادرنا مصرعلى متن سفينة كانت متجهين إلى مارسيليا ، وفور وصلنا وضعتتنا الوكالة اليهودية في بيت مؤقت، وكان عددنا تقريباً ثلاثون شخصًا في بيت واحد، وكان الطعام يقدم لنا في أكياس بلاستيكية، فشعر والدي بالإهانة ، ولكن ما جعله يشعرالإرتياح قليلاً هو وجود أمواله في البنك، والتي سوف تمكنه من العيش في هذه الحياة الجديدة". أضافت : "لكن بمجرد وصله إلى فرع البنك بمارسيليا، أخبره أحد موظفي البنك بأن الحكومة المصرية قامت بتأميم جميع

أموال اليهود ، و ليس لديه أي مال في حسابه، وتروي عادا آهاروني التي رافقته إلى البنك: "ما زلتُ أتذكر منظر والدي وهو يقول "حرامية، لقد أخذوا كل ما أملك" (١).

وأتذكر: "والدي التاجر المحترم، الذي خسر كل ما يملك، وتحول من رجل ثري إلى شخص فقير معدم، وبعد عودته إلى البيت التابع للوكالة اليهودية، أصيب بأزمة قلبية وتدهورت حالته الصحية كثيرًا حتى مات في باريس ، وانتقلت الأسرة إلى شقة مستقلة في باريس، واضطرت والدتي التي كانت تعمل مدرسة بيانو في مصر، إلى العمل كموظفة حجز تذاكر للمترو في محطة باريس ، ثم هاجرت إلى إسرائيل، واستقرت هناك وأسست أسرة، وعملت كباحثة في مجال الأدب (٢).

وتجدر الإشارة إلى القول بأن روايـة السيرة الذاتيـة لا تنسلخ عن حيـاة صاحبـها ، وإن احتل الخيـال مساحة شاسعة من أحداث الرواية ، إلا أن الرواية ترتكز على التجربة التي سببت المعاناة للمؤلف ، حتى وإن كانت تلك الأحداث تمثل جزءًا من حيـاة المؤلف ، أو صفحة من حيـاتـه ، كل ذلك بشرط أن يـعبّر المؤلف عن تلك التجربة الشخصيّة في قالب روائي تتوفر فيـه أهم عناصر الروايـة (٣) ، وهذا ما حققته الأديبة عادا أهاروني في روايتها " من النيل إلى الأردن" ، عندما أرادت الرجوع بالزمن إلى ذلك الماضي اليهودي فى مصر في القرن التاسع عشر حتي الإعلان عن قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ ، وهجرة يهود مصر إلى إسرائيل ؛ حيث أحداث الرواية .

(١) עדה אהרוני : הפליטים היהודים של 48' מקווים לקבל את רכושם חזרה ، עיתון הארץ ، בתאריך ٢٠١٧/٨/١، https://www.haaretz.co.il/news/education/.premium-1.3021975

(٢) عادا أهاروني : يهودية عن ممتلكاتهم في مصر، حوار في جريدة التحرير ، بتاريخ ٣٠/ ٧/ ٢٠١٦ ، منشور على الرابط الآتي : https://www.tahrirnews.com/posts/449874/

(٣) أحمد هيكل : الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨ ص ١٤٤.

المبحث الثاني

المضامين الفكرية فى رواية "من النيل إلى الأردن " التمنوات شعل الكير ":

تعد رواية من النسل إلى الأردن للأديبة عادا أهاروني إحدى الأعمال الأدبية التي تتناول تجربة وسيرة ذاتية عاشتها الأديبة نفسها ،

أولاً : صورة مصر فى رواية " من النيل إلى الأردن ":

ظهرت مصر في رواية " من النيل إلى الأردن " في صورتين :

أ-الصورة الإيجابية لمصر:

تناولت رواية " من النيل إلى الأردن " العديد من الصور الإيجابية لمصر منها :

١-صورة المكان :

شكلت مصر ومدنها مكاناً محورياً وآمناً لدى الطائفة اليهودية في مصر. وقد صورت الكاتبة " عادا أهاروني" المكان في الرواية تصويرًا واقعياً ، فتناولت مصر في القرن التاسع عشر. ويمكن إجمال تلك الصورة فيما يلي:

• مصر مَلاذ لليهود :

تعد مصر ملاذاً للعديد من الجماعات اليهودية التي تعرضت لأزمات مختلفة في شتى أنحاء العالم ، فكانوا يتوجهون إليها ؛ فراراً من أية اضطهادات أو مصادمات يتعرضون إليها من الدول التي كانوا يعيشون بين جنباتها مثل مذابح كيشينيف في روسيا ، وأحداث النازي ، فعندما جاء هؤلاء اليهود الفارين من تلك الأحداث شعروا بالأمان في مصر ، وأنهم من أبنائها [١]. وذلك ما أشارت إليه المصادر أن كل يهود مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر كانوا ينتمون إلى الأصول الشرقية ، أما في النصف الثاني من القرن الثاني من القرن التاسع عشر بدأ يهود الغرب في الهجرة من شرق أوروبا إلى مصر ؛ أولئك اليهود الذين فروا من المذابح والاضطهادات في أوروبا [٢] . وقد ظهر ذلك في الرواية عندما اختار روبي الناجي من أحداث النازي المجئ إلى مصر . وحول ذلك تقول الرواية :

כאשר שאלו את רובי במחנה העקורים، אחרי שניצל ממחנה הריכוז ברגן בלזן، לאן ברצונו ללכת، בחר לבוא אל דודתו האלמנה، כדי להתרחק ככל האפשר מזוועות המחנות ומאירופה המוצפת בפליטים. אפילו לביתו בברלין לא רצה לחזור، כל רצונו היה להתרחק ככל האפשר מאירופה שלאחר המלחמה" [٣].

---

(١) نجلاء رأفت : يهود مصر بين أحاسيس البقاء ونوازع الهجرة دراسة في رواية "بلانش" لإسحاق جورمزانو جورين ، مركز الدراسات الشرقية ، مج ١٧ ، ٢٠٠٥ ، ص٤٨.

(٢) יהודה ניני : יהודי מצרים،חיי יום יום ،והשתקפותם בספרות השו"ת(תרמ"ב-תרע"ד) אוניברסיטת ת"א ،ת"שם ، עמ" 14-13.

(٣) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، תמוז، תל אביב - ישראל ،2017، ע" 19 -20.

" عندما سألوا روبي في معسكر المرحلين ، بعد نجاته من معسكر الاعتقال " برجن بلزن" (١) إلى أين ينوي الذهاب ، اختار المجئ إلى خالته الأرملة ،ليبتعد قدر الإمكان عن فظائع المعسكرات وعن أوروبا التي يغمرها اللاجئون . حتى أنه لم يرغب في العودة إلى بيته في برلين ، وكان كل مايريده هو الابتعاد قدر المستطاع عن أوروبا ما بعد الحرب ".

وقد أثرت تلك الأحداث على روبي ، واتضح ذلك في الحوار الذي دار بين شموئيل مرشد الرحلة التي نظمها نادي المكابي الصهيوني إلى الأهرامات وأبي الهول عندما سألته عن روبي الذي كان يجلس دائماً بمفرده ولا يتحدث مع أحد. إذ تقول الرواية :

" שמואל השתתק לרגע ואז הוסיף، "נפשית נפגע، כנראה، קשות. מעולם לא ראיתי מישהו מסוגר ומרוחק כל כך !" (٢).

سكت شموئيل لحظة ثم قال : " نفسياً أنا مستاء للغاية . فلم أشاهد أبداً شخصاً منطوياً ومبتعداً إلى هذه الدرجة !".

• تقدم المدن والأحياء المصرية وجمال التراث المصري:

تطرقت الأديبة عادا أهاروني إلى الحديث عن تقدم المدن والأحياء المصرية منذ عهد محمد علي ، وهو وحديث ينم في طياته عن إعجاب الأديبة الشديد بمصر. وحول ذلك تقول الرواية :

" אתי סיפרה לרלף שאלכסנדריה וקהיר היו בין העירם הראשונות בעולם שהחלו לעשות שימוש בחשמל וזאת עקב שאיפתו של מוחמד עלי לחקות את מיטב החידושים העולמיים. רלף הביט סביבו בהשתוממות מוחלטת ומלמל، "אירופה עדיין מלקקת את פצעיה، וכאן לא השתנה דבר: הכל מסביב שפע וברק، כאילו כלל לא הייתה מלחמת העולם השנייה ! " (٣) .

"أخبرت لورا روبي أن الإسكندرية والقاهرة كانتا من أوائل المدن في العالم التي بدأت في استخدام الكهرباء ، ذلك بعد رغبة محمد علي في نقل أفضل التجديدات العالمية إليهما. نظر روبي حوله في دهشة تامة ، وتمتم قائلاً: " مازالت أوروبا تلعق جراحها ، وهنا لم يتغير شيء : كل شيء لامع وغني ، كما لو لم تكن هناك الحرب العالمية الثانية !" .

(١) المعسكرات التي اعتقل فيها النازي جماعات اليهود قبل إعدامهم ؛ وذلك في الحرب العالمية الثانية.
(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 20.
(٣) שם ، ע"29.

أما عن وصف الأحياء فقد وصفت الأديبة حي باب اللوق ، وهو من أقدم أحياء القاهرة ، وفيه تم إنشاء أقدم سوق في مصر ، الذي تم تسميته نسبة للحي "سوق باب اللوق". وحول ذلك تقول الرواية :

במורד הרחוב הצר המפותל היו חנויות אומנים שצרפו תכשיטים בסגנון מזרחי, צמידי זהב, שרשראות עם לבבות, עם צלבים, מגני דוד. טבעות משובצות, אבני אודם, אבנים יקרות ופנינים, וטבעת יהלום, כמו זאת שהנונה הראתה לה ואמרה שהייתה שייכת לאמה, ובבוא העת תהיה שלה. קטע זה של הרחוב הזכיר לה את ה'סגה', רחוב הצורפים, ליד 'אל אזהר' , לשם הביאה אותה פעם הנונה כדי לקנות לה צמיד מתכשיטן יהודי. ליד החנויות ניצבו בקתות הלבלרים והמלווים בריבית, כשלידם תורים ארוכים של גברים ב'גלביות' לבנות ונשים עטופות ב'מלאיות' שחורות [١] .

" وفي نهاية الشارع الضيق والملتوي كانت هناك حوانيت الفنانين الذين قاموا بعمل الحلي بأسلوب شرقي : الأساور الذهبية ، السلاسل مع القلوب ، مع الصلبان ، مع نجمة داود . خواتم مرصعة بالأحجار الكريمة الغالية واللؤلؤ ، وخاتم ماس ، مثل الذي أرته لها نونه ، وقالت أنه يخص أمها ، وبعد مرور الوقت سيصبح لها هي . لقد ذكرها هذا الجزء من الشارع بالصاغة بجوار الأزهر ، حيث اصطحبتها نونه ذات مرة لتشتري لها إسورة من صائغ يهودي . وبجوار الدكاكين كانت هناك أكشاك الكتب ، والمرابين ، وأمامها صفوف طويلة لرجال بجلابيب بيضاء ، ونساء ترتدين الملايات السوداء ".

أما عن التراث المصري فقد انبهر يهود مصر ويهود أوروبا (متمثل في روبي اليهودي الأشكنازي الناجي من معسكرات النازية والقادم من ألمانيا) بدار الأوبرا المصرية وحول ذلك تقول الرواية :

לפני שנכנסו לאולם, טיילו בתוך בניין האופרה. רובי התרשם עמוקות מהמבנה המפואר ובחן אותו על כל צדדיו. קלרה הסבירה לו בגאווה שבניין האופרה נבנה על ידי ארכיטקט איטלקי מפורסם, שהוזמן על ידי קדיב איסמעיל, לרגל פתיחת תעלת סואץ. המבנה היה בנוי משיש ואבן בהט לבנה, בסגנון רוקוקו עשיר ומקושט בזהב. הארכיטקטורה האלגנטית והסגנון האירופאי המיוחד, לא היו שכיחים בקהיר, אך, השתלבו יפה בכיכר האופרה המרשימה [٢] .

" قبل أن يدخلا القاعة (روبي ولورا . الباحثة) ، تجول داخل مبنى الأوبرا . وانبهر روبي بشدة من المبنى الفاخر ، وتمعن في جميع جوانبه . شرحت له لورا في فخر أن مبنى الأوبرا بناه مهندس إيطالي شهير ، طلبه الخديوي إسماعيل بمناسبة افتتاح قناة السويس. كان مبنياً من الرخام والمرمر الأبيض على طراز الروكوكو المزخرف بالذهب . المعمار الأنيق والطراز الأوروبي الخاص لم يكن شائعاً في القاهرة ، لكن كان يناسب ميدان الأوبرا المبهر".

([١]) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע״ 36.

([٢]) שם ، ע״ 58.

٢- صورة السكان:

وصفت الأديبة عادا أهاروني سكان مصر بكثير من الصفات الجميلة ، يمكن إجمالها فيما يلي:

- كرم المصريين:

قدمت الأديبة عادا أهاروني الشخصية المصرية على أنها شخصية كريمة ، تحب العيش في هدوء، وتقيم علاقات طيبة مع اليهود ، وترحب بالقادمين إليها من بلاد أخرى . وتقدم لهم يد العون والمساعدة . وقد ظهر ذلك في الحوار الذي دار بين لورا وروبي ، حول مخاوف روبي أن تفعل مصر باليهود المصريين كما فعلت النازية مع يهود ألمانيا. وحول ذلك تقول الرواية :

"מדוע אינך תופס, רובי, שהמצרים לעולם לא ינהגו כמו שנהגו הנאצים? ראשית, הם נדיבים וטובי לב, וכל רצונם הוא להתקיים בשקט ובכבוד ולשמור על יחסים טובים עם היהודים. שנית, הם בהחלט מעריכים את תרומתם של היהודים למצרים [١].

" لماذا لا تفهم يا روبي أن مصر لن تفعل أبداً ما فعله النازيون ؟ فهم أولاً كرماء وطيبون ، وكل ما يتطلعون إليه هو العيش في هدوء وكرامة والحفاظ على علاقات طيبة باليهود . ثانياً هم يقدرون بالطبع إنجازات اليهود من أجل مصر.

• اليهودي المصري ومشاركته في العمل التجاري و الأقتصادي:

أشارت الأديبة عادا أهاروني إلى تمتع اليهودي المصري بالحرية الكاملة ، التي تتمثل في عمل اليهود في جميع المجالات التجارية والاقتصادية. وحول ذلك تقول الرواية :

התיק האופנתי היה מתנת אביה, הוא קנה אותו אצל 'סיקוראל', החנות האלגנטית ביותר בעיר،שהיתה בבעלות משפחה יהודית, כמו רוב החנויות היוקרתיות בקהיר [٢].

" أما الحقيبة ، التي هي على الموضة ، حصلت عليها (لورا . الباحثة) كهدية من أبيها ، فقد اشتراها من شيكوريل ، المحل الراقي جداً في المدينة ، والذي كانت تمتلكه عائلة يهودية ،مثل معظم أرقى محال القاهرة".

الرواية تؤكد إنجازات اليهود في مصر اقتصادياً وتجارياً ،وغير ذلك . وحول ذلك تقول الرواية :

הם בהחלט מעריכים את תרומתם של היהודים למצרים.עזרנו להם להיבנות מבחינה כלכלית, מסחרית, טכנולוגית ותרבותית. עזרנו להם לפתח את שירותי המשפט, החינוך, הבריאות, ועוד, אנחנו תופסים עמדות נכבדות בכל המקצועות והעסקים [١].

([١]) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 64.

([٢]) שם ، ע" 58.

هم (المصريون . الباحثة) يقدرون بالطبع إنجازات اليهود من أجل مصر. فقد ساعدناهم على البناء اقتصادياً وتجارياً وتكنولوجياً ، وثقافياً . سنساعدهم على تطوير الخدمات القضائية والتعليمية ، والصحية وغيرها . نحن نشغل مكانة محترمة في جميع التخصصات والأعمال .

تؤكد كثير من المصادر أن الطائفة اليهودية في مصر تمتعوا بوضع اقتصادي متميز ؛ حيث أنشأوا مدارس ومستشفيات ومعابد خاصة بهم خاصة في مدينتي القاهرة والإسكندرية بوصفهما المدينتين اللتين تضمان أكبر جاليتين يهوديتين (٢) ؛ وبذلك أصبحت الطائفة اليهودية في مصر من أكثر الطوائف اليهودية في العالم تحضراً وثقافة ، كما تبوؤا العديد من المناصب المهمة في الدوائر السياسية والدبلوماسية والمالية (٣) .

• اليهودي المصري ومشاركته في العمل الثقافي:

أشارت الأديبة عادا أهاروني الشخصية المصرية إلى تمتع اليهودي المصري بالحرية الثقافية التي تمثلت في تعلمهم في مدارس خاصة بهم ؛ حيث قامت الطائفة اليهودية بإنشاء مدارس خاصة بهم ، وهي التي تقوم بالإدارة والإشراف على تلك المدارس ، كما وضعت مواد خاصة ضمن المناهج التي يدرسونها الطلاب تتفق مع حياتهم الدينية والثقافية ؛ وذلك بهدف جذب أبناء الطائفة اليهودية للدراسة بها (٤) . وحول ذلك تقول الرواية :

"באיזה בית ספר את לומדת מדמואזל ؟ בבית הספר של הקהילה היהודית ، אדוני המפקח،" היא ענתה בנימוס ובהתרגשות מה. "לקהילה היהודית במצרים יש בית ספר משלה؟" שאל המפקח מאגרי בתמיהה. "כן،" ענתה פלורה מלאת גאווה، "יש לנו בית ספר גדול ויפה، אני מאד אוהבת ללמוד בו" (٥) .

"في أي مدرسة تدرسين يا مادموازيل ؟ في مدرسة الطائفة اليهودية ، سيدي المشرف ، " أجابت في أدب ونوع من التأثر . هل لدى الطائفة اليهودية في مصر مدرسة خاصة بها ؟ سأل المشرف مجري في دهشة . أجل أجابت فورتونا والفخر يملؤها ، لدينا مدرسة كبيرة وجميلة ، وأنا أحب الدراسة فيها".

تجدر الإشارة إلى أن يهود مصر تمتعوا بكافة الحقوق الاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ،والإنسانية طوال فترة تواجدهم فى مصر .

---

(١) שם ، ע" 64.

(٢) جمال الشاذلي: التاريخ اليهودي ، يهود الدول العربية ويهود أمريكا ، (بدون ناشر) ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص٩.

(1)- Jacob M. Landau: Jews in nineteenth-century Egypt , New York University,1969,p.4

(2) Ibid ,p33 – 34.

(٥) رشاد رمضان عبد السلام : يهود مصر، ١٩٢٢-١٩٥٦ ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، ٢٠١٤ ، ص٣٠٧ ، ٣١١.

لم تهتم تلك المدارس بتعليم اللغة العربية بل باللغة الفرنسية ؛ حيث كانت اللغة الفرنسية هي لغة المحادثة في المدارس وبين العائلات اليهودية في مصر (١) . وحول ذلك تقول الرواية :

צרפתית הייתה שפת אמם של רוב האנשים בקרב הקהל, וביניהם היהודים. מאז בניית תעלת סואץ, בידי פרדיננד דה לספס, השתדלו הצרפתים להפיץ את שפתם ותרבותם העשירה במצרים, במקביל לעמדתם הפוליטית הקולוניאלית במזרח התיכון. מני אז, שלחו רוב המשפחות היהודיות את ילדיהן לליסה הצרפתי - בתי ספר תיכוניים מודרניים ברמה גבוהה, בהנהלת משרד החינוך הצרפתי ועם מורים צרפתיים. לימים،

הפכה הצרפתית לשפת אמם של היהודים. גם חלק מהמצרים האמידים אימצו לעצמם את התרבות והשפה הצרפתית. אנשי המעמד הגבוה המצרי، כמו גם היהודים، היו כמהים ומלאי הערצה לתרבות המערב، ובמיוחד לתרבות צרפת [٢] **.**

" كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الأم لمعظم الجمهور ، واليهود من بينهم . فمنذ حفر قناة السويس على يد فرديناند ديلسيبس ، حاول الفرنسيون نشر لغتهم وثقافتهم الثرية في مصر ، في مقابل موقفهم السياسي الاستعماري في الشرق الأوسط . ومنذ ذلك الحين وترسل العائلات اليهودية أبنائها إلى مدرسة الليسيه الفرنسية – وهي مدارس ثانوي حديثة رفيعة المستوى ، تحت إشراف وزارة التعليم الفرنسية ، ومدرسوها فرنسيون . وأصبحت اللغة الفرنسية فيما بعد لغة اليهود الأم . كما تبنى بعض المصريين الأثرياء لأنفسهم اللغة الفرنسية وثقافتها . وكان رجال الطبقة العليا في مصر وكذلك اليهود تواقين للثقافة الغربية ويجلونها ، وخاصة الثقافة الفرنسية ".

ب-الصورة السلبية لمصر:

قدمت الأديبة عادا أهاروني عدة صور سلبية ، يمكن إجملها فيما يلي:

١-صورة السكان :

• الرشوة :

نجد الأديبة عادا أهاروني تنظر إلى مصر والمصريين نظرة سلبية نابعة من كونها صهيونية متبنية وحاملة أفكار وموروثات يهودية ودينية وتاريخية ، وظهر ذلك في الرواية عندما وصفت الأديبة المصريين بالرشوة ؛ وذلك على لسان والد لورا متحددثاً إلى لور عن عدم حصوله على الجنسية المصرية . وحول ذلك تقول الرواية : **"למה לנו אין אזרחות מצרית? ואיך קיבלו חמשת האחוזים את האזרחות המצרית؟" שאלה קלרה את אביה באחת הפעמים ששוחחו על הנושא. "לפעמים، על ידי מתן שוחד"، ענה** [٣].

(١) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 10.

(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 59 .

(٣) שם ، ע" 22.

" لماذا ليس لدينا جنسية مصرية ؟ وكيف حصل الخمسة بالمائة على الجنسية المصرية ؟ سألت لورا أباها في إحدى المرات التي تحدثت إليه فيها عن هذا الموضوع . أحياناً عبرتقديم رشوة ، أجاب ".

• الرياء والغدر:

تنظر الأديبة عادا أهاروني إلى الشرق العربي على أنه يحمل صفات الرياء والغدر ، وكأن تلك الصفات متجذرة ومتأصلة به . أما الغرب فهو يحمل صفات الديمقراطية والصدق . وحول ذلك تقول الرواية :

" אבל יש דברים במזרח שהם מאוסים עלי: הפנאטיות העיוורת והאכזרית, הצביעות והבוגדנות. אני מעדיפה את הדמוקרטיה, את הכנות של המערב " [1].

" لكن هناك أمور في الشرق أمقتها (لورا . الباحثة) : التشدد الأعمى العنيف ، الرياء والغدر ، وأنا أفضل الديمقراطية ، والصدق عند الغرب ".

• الانتقام:

إذا كانت الأديبة عادا أهاروني قد نظرت إلى المصري على أنه مرتشي ، ويحمل صفات الرياء والغدر ، فلاعجب إذا نظرت إليه بمزيد من السلبية ، وصورته على أنه منتقم . واتضح ذلك عندما أراد أحمد الانتقام من والد لورا ، الذي رفض التدخل لصالح والده المسجون لدى صديقه القاضي حسن ؛ لإطلاق سراح والده المتهم بالسرقة ، بالإضافة إلى مضاجعة أخيها جابي لمنيرة أخت أحمد ، فقرر أحمد الانتقام من والد لورا عن طريق محاولة اغتصاب لورا. وحول ذلك تقول الرواية:

"אני מתחיל להבין, אבל מה פירוש 'אינתקם' [2] **, בכלל?" שאל.**

"אז לא ידעתי", השיבה, "מאוחר יותר הסתבר לי שהכוונה ל'נקמה' !"

"נקמה על מה?"

"בזמנו לא הבנתי, אך כאשר התחלתי לחקור בעניין, שנים לאחר מכן, נזכרתי בדבריו של אחמד שכינה את אבי: "ממזר יהודי" והגעתי למסקנה, שבאמצעות ניסיון האונס, ניסה אחמד לנקום לא רק באבי ובאחי, כי אם גם ביהודים בכלל. "שנים לאחר מכן הסתבר לי, מקטעי שיחה ששמעתי בין המשרתות ובין אמא ושכנתנו, הגברת שבבה, שגבי אחי, שכב עם מונירה. בנוסף, כמה שנים לפני המקרה שלי, דן חברו של אבי, השופט חסן, שעסק בפלילים, את אביה של מונירה למאסר. אמה ואחיה, אחמד, באו אל אבי לבקשו שיתערב לטובת אביהם וישחררו מהמאסר, אך הוא סרב וביקש אותם לצאת מהבית. אביה של

([1]) שם ، ע" 115.

([2]) كتبت الأديبة كلمة " انتقام " العربية بحروف عبرية .

מוניירה נמק בכלא, ומשפחתה לא סלחה לנו לעולם. לכן החליטו להתנקם בי, בתו של השופט מוסרי. עבורם הייתה זו נקמה כפולה" [1].

" بدأت أفهم ، لكن ما معنى كلمة انتقام بشكل عام ؟ سأل . لم أعرف حينها ، أجابت ، لكن اتضح لي فيما بعد أن المقصود الثأر **!.**

الثأر من ماذا؟.

" لم أفهم حينها ، لكن عندما بدأت أبحث في الأمر بعد ذلك بسنوات ، تذكرت كلمات أحمد الذي دعا أبي فيها : " يهودي وغد" ، وتوصلت إلى استنتاج أن أحمد حاول الانتقام عبر محاولة الاغتصاب ليس من أبي وأخي فقط ، لكن من جميع اليهود ، وعلمت بعدها بسنوات من جزء من حديث سمعته بين الخادمات وبين أمي وجارتنا السيدة شبابة أن أخي جابي ضاجع منيرة. فضلاً عن أنه قبل حادثي بسنوات ، حكم زميل أبي القاضي حسن على والد منيرة بالسجن . وجاء أمها وأخوها أحمد إلى أبي يطلبون منه التدخل لصالح والدهما وإطلاق سراحه ، لكنه رفض وطردهما . وعانى أبوهما في السجن ولم تغفر لنا العائلة أبداً . لذلك قرر الانتقام مني أنا أبنة القاضي موصيري . لقد كان ذلك بالنسبة لهم ثأراً مزدوجاً.

٢ـ مصادرة أموال اليهود:

أشارت رواية " من النيل إلى الأردن" إلى مصادرة الحكومة المصرية لأموال وأملاك يهود مصر. فالمصادر تشير إلى أنه لم يقتصر مصادرة الأملاك والأموال على الطائفة اليهودية في مصر دون سواها ، بل شمل أيضاً العديد من العائلات الإقطاعية في مصر (٢) في عهد جمال عبدالناصر. وحول ذلك تقول الرواية :

אבי, נסים ידיד, מת בפסח. לא במצרים או בישראל, אלא בצרפת. מת מהתקף לב לאחר שנודע לו שכל רכושו וכספו הוחרמו במצרים, כמו לכל יתר היהודים, למרות שהפקיד את ממונו בבנק שווייצרי. אני זוכרת את הביקור שלנו יחדיו בבנק השוויצרי במרסיי, כאילו התרחש היום. כאשר ניגש אבי לפקיד הבנק כדי למשוך את כספו, נאמר לו כי מאחר ופתח את החשבון בקאהיר החרימו השלטונות המצריים את כל כספו! ועוד נאמר לו כי אין כל דרך לפצותו. אבי, השופט האמיד הפך בן לילה לעני מרוד, הוא לא יכול היה לעכל את המהלומה הכבדה שניחתה על ראשו [3] .

---

(١) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 48.

(٢) احمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر (ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ،القاهرة ، ١٩٨٣ ،ص٣٣٤ .

(٣) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 95.

" مات أبي نسيم يديد في عيد الفصح ، ليس في مصر أو في إسرائيل لكن في فرنسا . مات بأزمة قلبية بعد أن علم أن كل ممتلكاته وأمواله صودرت في مصر ، مثل بقية اليهود ، على الرغم من أنه أودع ثروته في بنك سويسري . أذكر زيارتنا معاً إلى للبنك السويسري ، كما لو كان حدث ذلك بالأمس . عندما ذهب أبي إلى موظف البنك ليسحب ماله ، قيل له نظراً لأنه فتح الحساب في القاهرة فإن السلطات المصرية قد صادرت المال! كما قيل له إنه ليس هناك أي سبيل لتعويضه . تحول أبي القاضي الثري إلى فقير معدم بين عشية وضحاها . لم يكن في وسعه استيعاب الصدمة الكبيرة التي حلت به ".

وفي موضع أخر تشير الأديبة أن ماحدث في مصر من مصادرة أموال وأملاك اليهود ، تكرر الأمر ذاته في إسرائيل ؛ حيث قامت إسرائيل بأخذ قطعة الأرض التي اشتراها والد لورا ، وإقامة عليها بوابة للقطار ، وأخبروه موظفي الدولة أن مصلحة إسرائيل فوق مصلحة الجميع. وحول ذلك تقول الرواية :

אבי שכל רכושו הולאם על ידי ממשלת מצרים, הפך בן לילה מאיש תבואות עשיר ומיוחס, פטרון השכל והמעשים הטובים לעני מרוד. לבו לא עמד בבגידה ונשבר לרסיסים, הוא לקה בהתקף לב כבר במחנה - המעבר " זבולון" בצרפת ולא יכול היה לעמוד במאמץ הנסיעה לארץ הנכספת. הוא המשיך לחלום על מדינת ישראל שקמה בינתיים, לאחר ההחלטה שהתקבלה בארגון האומות המאוחדות ב כ"ט - 29 בנובמבר לאפשר לעם היהודי להקים מדינה שתקלוט אליה את היהודים המפוזרים ברחבי העולם. "למצרים הייתי בן חורג, אבל מדינת ישראל היא עבורי האמא האמיתית," אמר. "מזל שדאגתי לקנות בה אדמה, אינני רוצה לחיות על חשבון המוסדות המיישבים. אומנם כל רכושי נגזל על ידי המצרים, אבל במדינת ישראל הכול יהיה שונה. הלא יהודים אחים אנחנו." כשהתחזק ליבו והוא יכול היה לעמוד במאמץ הנסיעה לישראל, הוא בא בשערי הארץ הנכספת. מה גדולה הייתה תדהמתו כאשר אותם מוסדות מיישבים באמצעות הפקידים עושי דברם הודיעו לו כי על חלקת האדמה אשר רכש במיטב כספו, עומד עתה שער הרכבת בהרצליה! טובת המדינה קודמת הסבירו לו הפקידים מינייה ובייה.

וחלקת אדמה אחרת במקום אפשר? שאל בעצב. לא, אי אפשר, הייתה התשובה הלקונית....הוא חש תחושת מחנק בגרונו, כמו בבנק השוויצרי בפריז "דה ז'או", לא, זה לא מדוייק, להיות נבגד על ידי ה"אמא האמיתית" זה הרבה יותר חמור וקשה וכואב...הוא חזר לצרפת, אך ליבו לא עמד בבגידה השניה הנוראה מקודמתה. במצרים נטלו ממנו את כל רכושו, בישראל נטלו ממנו גם את הרכוש, גם את התקווה וגם את האמונה. את חלומו האחד היקר לו ביותר נטלו ממנו. שוב לא היה טעם לחייו. זמן קצר לאחר חזרתו לצרפת נפטר אבי משיברון לב גמור. הוא אפילו לא זכה להיקבר בארץ אשר כה אהב ועליה חלם משחר ילדותו [1].

" أبي الذي أممت الحكومة المصرية كل ممتلكاته ، تحول في يوم وليلة من رجل ثري نبيل ، صاحب العقل ، والأعمال الطيبة ، إلى فقير معدم . لم يحتمل قلبه الخيانة ، وتحطم إلى أشلاء ، فأصيب بأزمة قلبية في المعسكر

(1) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 99 - 100.

الانتقالي " زفولون " في فرنسا ، ولم يستطع تحمل جهد السفر إلى الأرض التي يتوق إليها . واستمر في الحلم بدولة إسرائيل ، التي كانت قد تأسست بعد قرار منظمة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر بالسماح للشعب اليهودي بإقامة دولة تستوعب فيها اليهود المشتتين في أرجاء العالم . " كنت لمصر ابناً غير شرعي ، لكن دولة إسرائيل هي الأم الحقيقية بالنسبة لي " قال . من حسن الحظ أني حرصت على شراء أرض فيها ، لا أود أن أعيش على حساب مؤسسات التوطين. سلب المصريون مني كافة ممتلكاتي حقاً، لكن كل شيء سيختلف في دولة إسرائيل . ألسنا نحن اليهود أخوة . عندما تعافى قلبه ، وأصبح يستطيع أن يتحمل مجهود السفر إلى إسرائيل ، وصل إلى بوابة الأرض التي يطمح إليها . وكم كانت دهشته كبيرة عندما أخبرته تلك المؤسسات عبر موظفيها القائمين على الأمر أن كل قطعة الأرض التي اشتراها بماله ، أصبح فيها الآن بوابة القطار في هرتسليا ! أوضح له الموظفون أن مصلحة الدولة تسبق .

هل من الممكن قطعة أرض أخرى في المكان ؟ سأل في أسى . كلا لا يمكن ، كان الرد المقتضب .... شعر باختناق ، مثلما حدث في البنك السويسري في باريس "دي جاو" ، كلا ، هذا ليس صحيحاً ، أن تخونني الأم الحقيقية ، هذا أصعب وأشد قسوة وإيلاماً... عاد إلى فرنسا لكن قلبه لم يحتمل الخيانة الثانية الأبشع من سابقتها . في مصر أخذوا منه جميع ممتلكاته ، وكذلك الأمل والإيمان. سلبوه حلمه الغالي جداً . لم يعد هناك طعم لحياته مرة أخرى . مات أبي بعد فترة قصيرة من عودته إلى فرنسا بسبب انهيار قلبه التام. ولم يحظ حتى بالدفن في فلسطين التي أحبها وحلم بها منذ فجر طفولته .

ثانياً: الشوق إلى فلسطين " أرض الميعاد":

تطرقت رواية " من النيل إلى الأردن " إلى شوق يهود مصر إلى الهجرة إلى فلسطين "أرض الميعاد" ، تلك الفكرة التي غرستها الصهيونية في عقول يهود الشرق والغرب ؛ حيث كرست الصهيونية نفسها لبعث فكرة إسرائيل القديمة وبناء دولة يهودية في فلسطين (١) .وحول ذلك تقول الرواية :

כל חייו חלם אבי לעלות לישראל. סיפורים שמע עוד מאביו על ארץ הקודש. בבית הכנסת התפללו כשפניהם לכותל המזרח. סיפורים יפים היה מספר לי אבי בילדותי, על הרריה היפים של הארץ, רכס הכרמל הנושק לים לעת בין ערביים עם שקיעת שמש עגולה זהובה. אודות שדות מוריקים בעמק יזרעאל ..... כשהתבגרתי סיפר לי אבי על האדמה אשר רכש בכסף מלא, בשטרות שטרלינג אנגליים, מידי הקרן הקיימת לישראל. הפתעה עשה לאמי בלידתה אותי, חלקה בארץ הקודש הקדיש לה, בהרצליה ליד הים. "יום אחד" נוהג היה לומר במבט חולמני מלא געגועים "כשאסיים את ענייני בארץ מצרים, אנחנו ניסע לגור בארץ ישראל." מדינה עדיין לא הייתה, אבל הוא האמין בחלום הציוני, בכל מאודו האמין כי החלום ירקום עור וגידים וליהודים תהיה מדינה משלהם, רק שלהם (٢) .

(١) رجائي و ياسر طالب: تشكيل العقل الصهيوني (السعي نحو يهودية الدولة)،دار الخليج ، ط٢، الأردن ، ٢٠١٧ ، ص ٦٦.
(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע״ 99.

" حلم أبي كل حياته بالهجرة إلى فلسطين . سمع حكايات من أبيه عن الأرض المقدسة . وفي المعبد صلوا وقبلتهم نحو حائط المبكى في الشرق . كان أبي يحكي لي حكايات جميلة في طفولتي ، عن جبال فلسطين الجميلة ، وعن سلسلة جبال الكرمل المتاخمة للبحر وقت الأصيل مع غروب الشمس الذهبية المستديرة ، وعن الحقول الخضراء في وادي يزرعئيل .. وعندما كبرت أخبرني أبي عن الأرض التي اشتراها بالكثير من المال ، بالجنية الإسترليني الإنجليزي ، من الصندوق الدائم لإسرائيل . فاجأ أمي عند ولادتها لي ، قطعة أرض خصصها لي في الأرض المقدسة في هرتسليا بجوار البحر. " يوماً ما " اعتاد القول لي بنظرة حالمة يملؤها الشوق " عندما سأنهي أموري في أرض مصر ، سنسافر للإقامة في أرض إسرائيل ". لم تكن الدولة قد قامت بعد ، لكنه آمن بالحلم الصهيوني ، واعتقد بكل قوة أن الحلم سيتحقق وسيكون لليهود دولتهم ، هم فقط.

ثالثاً: إشكالية الهوية :

لاشك أن إشكالية الهوية من أصعب المشكلات التي تواجه اليهود ، فالهوية ؛ هى الشفرة التى يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه فى علاقته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها ومن خلالها يتعرف على الآخرين باعتباره منتميا لتلك الجماعة .(١). فتاريخ اليهود ماهو إلا تاريخ أقلية دينية مشتتة في دول مختلفة ؛ وذلك لأن تاريخ أي شعب أو أمة يفهم سياسياً من خلال الدولة التي أسسها أو أقامها هذا الشعب عبر التاريخ، وغياب مثل هذه الدولة في شأن اليهود جعل لهم تاريخاً تابعاً وليس مستقلاً ، ومن هنا ينسب تاريخ اليهود إلى الشعوب أو الدول التي عاشوا فيها، ولا يجمع هؤلاء اليهود سوى الدين (٢) .

تعود جذور هذه الإشكالية إلى ماقبل قيام دولة إسرائيل بأمد كبير ، حيث كانت الجماعات اليهودية في شتى دول العالم لا تحمل سوى الهوية الدينية إى الهوية اليهودية المرتبطة بالديانة اليهودية والتراث اليهودي ، وعند قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهجرة اليهود إلى إسرائيل حدث تخبط وصراع داخل الشخصية اليهودية سواء جيل الأباء والأبناء بين الانتماء إلى الهوية الإسرائيلية وبين انتماء اليهودي إلى هوية الشتات وهذا ما ظهر في الرواية حيث تمسكت جدة لورا بالبقاء في مصر وبهويتها المصرية ورفضها الهجرة إلى إسرائيل والهوية الإسرائيلية ، وكذلك الحال مع والد لورا على عكس لورا التي أرادت الهجرة إلى إسرائيل وبالتالي الهوية الإسرائيلية ، وحول ذلك تقول الرواية :

"ילדים, תבינו, לא נחזור יותר למצרים," אמר אבא בקול רציני ועצוב, אך אני לא קלטתי עדיין את פשר הדברים. אנשים החלו להגיע לקנות את החפצים שלנו. במכירה פומבית, מכרו את כל החפצים המהודרים והיפהפיים שלנו...נפרדתי מחברי ומהשכנים, ומבאהייה, שכנה מוסלמית בת גילי, אתה הייתי בקשרי ידידות.... שאלתי את עצמי. 'מי אני אהיה? הם יישארו כאן עם החפצים שלי, עם הבית שלי, ומה יהיה אתי? איפה אני אהיה? איפה אני אשן?' חשתי אבודה, פתאום אני נקרעת מכל היקר והמוכר לי, אני לא

---

(١) رشاد عبد الله الشامى: إشكالية اليهودية في إسرائيل، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ط١ ، العدد ٢٢٤ الكويت ، ١٩٩٧ م ، ص٥.

(٢) رشاد رمضان عبدالسلام : يهود مصر، ١٩٢٢-١٩٥٦ ،مرجع سابق ، ص ٧ .

נחשבת יותר, זהותי נמחקת. התחלתי להבין מדוע אבא, אמא וסבתא, היו כה עצובים. לא סיפרתי להם את תחושותי, כבר בגיל הצעיר הזה הבנתי בחושי שאסור לי לצערם עוד יותר [١] .

" عليكم أن تفهموا يا أولاد ، أننا لن نعود إلى مصر ثانية " ، قال أبي بصوت جاد وحزين ، لكني مازلت لا استوعب معنى الكلام . بدأ الناس في التوافد لشراء أغراضنا . فقد باعوا في المزاد العلني كل أغراضنا الثمنية والجميلة..... ودعت الأصدقاء والجيران ، وبهية جارتي المسلمة التي كانت في عمري ، وكنا صديقتين ... سألت نفسي من سأكون أنا ؟ هم سيبقون هنا مع أغراضي ، وبيتي ، وماذا سيحدث معي؟ أين سأكون ؟ أين سأنام ؟ شعرت بالضياع ، وفجأة خسرت كل ما هو غال علي وأعرفه ، فأنا لم يعد لي قيمة ، فقد محيت هويتي . بدأت أدرك لماذا أبي وأمي وجدتي محزونين جداً. لم أخبرهم بشعوري ، فقد أدركت في هذه السن الصغيرة بإحساسي أنه من المحظور إيلامهم أكثر من ذلك ".

• حقيقة رفض مصر منح اليهود الجنسية المصرية:

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ازداد عدد الأجانب بصفة عامة ، واليهود بصفة خاصة ؛ حيث كانت مصر تعد أرض خصبة لليهود والأجانب في ظل المحاكم المختلطة والإمتيازات التي منحت لهما ، وكان الرعايا المصريون يعدون رعايا للدولة العثمانية حتى هزمت الدولة العثمانية في عام ١٩١٤ ، وعندما صدر قانون الجنسية المصرية في عام ١٩٢٩ الذي اقتضى بحصول من يقيم في مصر على الجنسية المصرية ، ولكن لم يكن لليهود أية سعي حثيث للحصول على الجنسية المصرية بل كان كل حرصهم على الحصول على الجنسية الأجنبية ، بالإضافة إلى سعي من يملك الجنسية المصرية من اليهود إلى الحصول على جنسية إحدى الدول الأوروبية ؛ وذلك لما تضمنه من امتيازات في ظل الحماية الأجنبية والمحاكم المختلطة . وتجدر الإشارة إلى أن كثير من يهود ظلوا بلا جنسية حتىخروجهم وهجرتهم من مصر ، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد اليهود الذين ظلوا بلا جنسية حتى خروجهم من مصر قد بلغوا ٧٠٠٠ يهودي(٢) .

ويحتمل أن كثير من اليهود المصريين لم يجدوا أية تعارض في الولاء والانتماء بين رغبتهم في إقامة دولة يهودية خاصة بهم وبين حياتهم في مصر التي منحتهم حياة يصعب عليهم أن يجدوها في أي دولة آخرى ؛ فقد سمحت لهم بالانضمام إلى الحركات والمنظمات الصهيونية (٣) .

واتضح ذلك في الحوار الذي دار بين لورا وروبي عن وضع وحياة يهود مصر، إذ تقول الرواية:

"מדוע, אם כן, אין נותנים לכם אזרחות מצרית?" קטע את שטף דיבורה, "וזאת למרות שכבר הייתם כאן לפני האיסלאם ולפני שהערבים בכלל הגיעו למצרים, במאה השביעית."

---

(١) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 91 ، 92 .

(٢) زبيدة محمد عطا: يهود مصر التاريخ السياسى ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الجيزة ،ط١، ٢٠١٠ ،ص ٢٥_ ٢٦

(٣) محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص١٦١ .

"נכון, הם לא מעניקים לנו אזרחות מצרית"، הודתה، "אך הדבר אינו משנה את העובדה שאנחנו אורחים רצויים ומכובדים במצרים. יש בכך אפילו יתרונות מסויימים, לא להיות אזרחים, לדוגמה, זה פוטר את הבנים מהחובה לשרת בצבא, והם יכולים לפנות ישר ללימודים באוניברסיטה." הוסיפה. אבל עד מתי יכולים אורחים להיות רצויים؟.

"אולי לנצח"، ענתה בהיסוס، "או، לפחות، כל עוד נרצה، זאת ההבטחה שהבטיח המלך פואד לקהילה היהודית בשנת 1917 ، כאשר בקאהיר ובאלכסנדריה נפתחו משרדי ההסתדרות הציונית הכללית. אבי، שהיה חבר בתנועה הציונית 'בר כוכבא'، היה נוכח כאשר הבטיח המלך פואד ליהודים שהם תמיד יהיו 'רצויים ומכובדים - במצרים עד שישובו לארצם ארץ ישראל'. גם בנו، המלך פארוק، נוקט בעמדה זהה. וכל זאת، תאר לך، – עוד לפני הצהרת בלפור!" [1] .

" إذن لماذا لا تحملون الجنسية المصرية ؟ قاطع سيل كلامها ، رغم أنكم تعيشون هنا قبل الإسلام ، وقبل دخول العرب مصر في القرن السابع ".

صحيح ، هم لا يعطوننا الجنسية المصرية ، اعترفت ، لكن ذلك لا يغير حقيقة أننا ضيوف مرغوب فينا يتم احترامنا في مصر . بل أن هناك ميزات معينة لعدم كوننا مواطنين ، فذلك يعفي أبنائنا من التجنيد الإلزامي في الجيش ، فيمكنهم الذهاب إلى الجامعة مباشرة للدراسة ، أضافت . لكن إلى متى ستبقون ضيوفاً مرحباً بكم ؟

ربما إلى الأبد ، أجابته في تردد أو على الأقل ، كلما رغبنا ذلك ، ذلك هو الوعد الذي وعد به الملك فؤاد الطائفة اليهودية عام ١٩١٧ ، عند افتتاح مكاتب المنظمة الصهيونية العالمية في القاهرة والأسكندرية . ولقد كان أبي الذي كان عضواً في حركة باركوخبا الصهيونية ، موجوداً عندما وعد الملك فؤاد بأنهم سيكونوا مرحباً بهم ومرغوبين في مصر – حتى عودتهم إلى وطنهم – أرض فلسطين .

رابعاً: الاغتراب :

تعد ظاهرة الاغتراب من أهم السمات التي تميزت بها الشخصية اليهودية على مدار التاريخ اليهودي ؛ إذ حددت ورسمت علاقة اليهود بالأغيار ، فالشعور بالاغتراب لدى اليهود لم ينبع من الفراغ ، بل بفعل عوامل مرتبطة بعضها الدين من ناحية ، وعوامل أخرى مرتبطة بالتاريخ اليهودي من ناحية أخرى. فبالنسبة للدين اليهودي فقد بُني أساساً على عزل اليهودي عن الأغيار (٢) ، بالإضافة إلى النبوءة اليهودية التي نظر إليها اليهود على أنها رسالات خاصة من إله خاص بشعب خاص (٣) .أما بالنسبة للتاريخ اليهودي فقد زاد أحداثه من الشعور بالاغتراب لدى اليهود ، وإحساسهم أن النفي والاضطهاد سمتان أساسيتان تميزا بهما التاريخ اليهودي (٤) .

---

[1] עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 63-64.

(٢) محمود سعيد عبد الظاهر : يهود مصر دراسة في الموقف السياسي١٨٩٧ - ١٩٤٨، جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد ١٧ ، ٢٠٠٠ ، ص٢٧ .

(٣) محمد خليفة حسن : تاريخ النبوءة الإسرائيلية المبحث الأول ظاهرة النبوءة الإسرائيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠.

(٤) محمد خليفة حسن : التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم ،(بدون ناشر) ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ،ص ١٤.

وقد أكدت رواية " من النيل إلى الأردن" على هذه الصفة المتجذرة في الشخصية اليهودية ؛ تلك الصفة التي وقفت حجرة عثرة في وجهها وحالت دون تأقلمها واندماجها مع الأغيار، وكانت دافعاً قوياً دوماً لها إلى التفكير في الهجرة ، ويتضح ذلك من خلال شخصية لورا – البطلة المحورية – التى تشعر بأنها مغتربة في أى مكان غير أرض الميعاد . وحول ذلك تقول الرواية :

" אתי נולדה בארץ הנילוס، אך מצרים לא הייתה מולדתה. עובדה זו טפחה על פניה בכל עוצמתה כבר בהיותה בת שמונה שנים..... לימים התקשתה יותר ויותר לענות על השאלה הפשוטה, "מי את?" נשמתה זעקה בכאב, 'איני יודעת מי אני، איני יודעת !' לפעמים הייתה מתעוררת באישון לילה، שטופת זיעה וכולה רועדת שוב היה פוקד אותה – אותו חלום בלהות: 'היא אבדה במדבר، בחולות שליד הפירמידות, ולא יכלה למצוא את דרכה. היא נמסה בשמש הלוהטת, וסוכר חם החל זורם ממנה. היא רצתה לצעוק, לקרוא לעזרה, אך נחנקה, שהרי לא הייתה, אלא, בובת סוכר חלולה, נטולת זהות, וכך אט אט טבעה בחול הדיונות, וכגרגר במדבר העצום, שקעה ונעלמה...!' יחד עם זאת, זהותה היהודית הייתה חזקה. אביה התפלל בבית מדי יום ביומו, הוא ערך קידוש בכל ליל שבת בשובו מבית הכנסת, משפחתה הקפידה לחוג את כל החגים ככתוב. 'אם אני 'יהודייה אפראנג'ייה'، חשבה، 'כי אז איפה ארצי? אם איני מצרייה، לא צרפתייה ולא אנגלייה، כי אז מה אני؟ היכן שורשי؟ באיזו ארץ מוסתרים הם؟ בישראל؟ האם אי פעם נשוב לשם؟ שוועתה הפנימית לזהות ברורה כרסמה והדהדה - בתוכה במשך כל שנותיה במצרים، מאז התחושה העמוקה של ניכור שניטעה בה، כבר אז، בחנות בובות- הסוכר!' [1] .

" ولدت لورا في بلاد النيل ، لكن مصر لم تكن وطنها . كانت هذه الحقيقة أمامها منذ أن كانت في الثامنة من عمرها ..... أصبح من الصعب عليها (لورا. الباحثة) فيما بعد الإجابة على هذا السؤال البسيط ، من أنت؟ صرخت روحها في ألم : لاأعرف من أنا !" كانت تصحو في منتصف الليل أحياناً ،والعرق يكسوها ، وترتجف كلها – كان يراودها ذات الكابوس المفزع :" هي تائهة في الصحراء ، في الرمال بجوار الأهرامات ، ولا تستطيع إيجاد طريقها . وذابت في الشمس المحرقة ، وبدأ السكر الساخن يتدفق منها . أرادت الصراخ ، أن تطلب المساعدة ولكنها اختنقت ، فهي لم تكن سوى عروس من السكر المجوف ، ليس لديها هوية ، وهكذا غرقت في الكثبان الرملية ، مثل حبة الرمل في الصحراء الشاسعة ، وغرقت واختفت! . مع ذلك ، كانت هويتها اليهودية قوية . فكان أبوها يصلي يومياً ، وكان يجري طقوس التقديس في مساء كل سبت عند عودته من المعبد ، وكانت عائلتها تحرص على الاحتفال بالأعياد كما هو مكتوب . وفكرت إذا كنت "إفرنجية" فأين بلدي؟ ، لست فرنسية ، أو إنجليزية ،إذن من أكون ؟ أين جذوري ؟ في أي بلد خفي هي ؟ في إسرائيل ؟ هل سنعود هناك في يوماً ما ؟ كانت استغاثتها الداخلية إلى هوية واضحة تدوي وتأكل فيها طوال سنواتها في مصر ، منذ أن غرس فيها هذا الشعور العميق بالغربة في محل عرائس الحلوى ".

([1]) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 42 , 35 .

خامساً : النشاط الصهيوني ودعم الصهيونية من يهود مصر:

استغل اليهود مصر واتخذوها ممراً لدخولهم فلسطين ؛ حيث زار رئيس الوكالة اليهودية ورئيس الجمعية الصهيونية " حاييم وايزمان" مصر عدة مرات ، وألقى خطابات يتحدث فيه عن الأوضاع داخل فلسطين ، وواجب اليهود نحو إنشاء مستعمرة في فلسطين لمهاجري يهود المانيا ، كما حث اليهودي على ضرورة مساندتهم لجهود الصهيونية. بالإضافة إلى الزيارات التي كان يقومون بها الشخصيات اليهودية البارزة في مصر لفلسطين من أجل الإطلاع على جهود الصهيونيين في إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين ، وعند عودتهم إلى مصر يلقون خطاباً إلى يهود مصر متحدثين عن ما شاهدوه في فلسطين وعن تحسن وضع مهاجري يهود المانيا والإنجازات الصهيونية في إنشاء دولة يهودية في فلسطين(١) . وهذا ما أكدته الرواية عندما فرحت فورتونا أم لورا بطلة الرواية بمجئ " חיים וייצמן " حاييم وايزمان لزيارة مدرستها ، وهي في سن الثالثة عشرة من عمرها . وحول ذلك تقول الرواية:

"פלורה، הנה، הנה הוא בא!" קראה נעמי בהתרגשות רבה לעבר חברתה לכתה، בעודן עומדות בציפיה ובשמחה בשורה הארוכה בפתח: "Ecole de La Communaute Juif" בית הספר של הקהילה היהודית בקאהיר. - פלורה לוי، החיננית האדמונית، כה התרגשה، שחשה צמרמורת מחשמלת בחוט שדרתה، כאשר חיים וייצמן، ראש המשלחת הציונית، מארץ ישראל הנכספת، נפנף לעברם בחום כשנכנס בשער בית ספרה، בעת ביקורו ההיסטורי בקאהיר، בשנת 1918 . " קום תקום מדינה יהודית בארץ ישראל، ב'ארץ הישנה חדשה' לכל היהודים! " הכריז חיים וייצמן، בגאווה، בפני ילדי בית הספר. התרגשות גדולה אחזה בכולם، המנהל، המורים והילדים מחאו לו כף בהתלהבות והריעו בתשואות רמות " (٢) .

" וקפצת נעומי في ترقب ولهفة في الطابور ، وبنبرة صوت ممزوجة بفرحة صرخت : " هاهو يأتي ! نادت نعومي في حماس كبير صديقتها في الصف ، عندما كانتا وتقفان في ترقب وفرحة في الطابور الطويل عند مدخل مدرسة الطائفة اليهودية في القاهرة .أحمر وجه فورتونا ليفي من التأثر ، وشعرت برجفة تسري في عمودها الفقري كالكهرباء ، ذلك عندما قام حاييم وايزمان رئيس الوفد الصهيوني ، القادم من أرض إسرائيل – التي نتوق إليه – بالتلويح لها بحرارة أثناء دخوله بوابة المدرسة ، في زيارته التاريخية إلى مصر عام ١٩١٨ . " ستقوم دولة يهودية في أرض إسرائيل ، في الأرض القديمة الجديدة لكل اليهود ! أعلن حاييم وايزمان في فخر أمام أطفال المدرسة ، أخذهم كلهم حماس كبير ، فصفق له المدير والمدرسون والأطفال متحمسون وهم يصيحون صيحات عالية".

تجدر الإشارة إلى أن رواية " من النيل إلى الأردن " تؤكد على اعتقاد ومزاعم اليهود بأحقيتهم في أرض كنعان ، وأرتباطهم بها منذ القدم ، ولكنهم تم نفيهم من تلك الأرض .

---

(١) رشاد رمضان عبدالسلام : يهود مصر، ١٩٢٢-١٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ٧٢.

(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע״ 9 .

أكدت رواية " من النيل إلى الأردن " على الحرية الكاملة التي تم منحها لليهود لممارسة أنشطتهم الصهيونية داخل مصر مثل نادي المكاني التابع لحركة مكابي الطلائعي ؛ هونادي للشبيبة اليهود كان ينظم الرحلات للسفر في الداخل وأيضاً إلى الخارج وخاصة فلسطين ، وتساعدهم في استصدار جوازات السفر ، فهو يعد الشبان

فكرياً ونفسياً للهجرة إلى فلسطين ، وهو ما أكدته الرواية عند الحديث عن إحدى رحلات نادي المكابي إلى أبو الهول والأهرامات ، تلك الرحلة التي قابلت فيها لورا لأول مرة حبيبها روبي . وحول ذلك تقول الرواية :

" תנועות הנוער היהודיות ארגנו טיולים לספינקס ולפירמידות. באחד מאלה, קלרה ראתה את רובי לראשונה, במלאות לה שמונה עשרה שנים, בטיול מטעם תנועת 'מכבי החלוץ', תנועת הנוער הציונית. הבחינה בו בעת הנסיעה בחשמלית אשר הובילה אותם לגיזה. עמד לבדו ליד חלון החשמלית, נראה מכונס בתוך עצמו, דמות מרוחקת ובודדה, מנותקת מן הקבוצה העליזה אשר שרה והתבדחה סביבו. המבט העצוב שהשתקף מעיניו הירוקות אפורות לכד את תשומת לבה. - "מי זה?" שאלה את המדריך שמואל, "הצטרף לתנועה בשבוע שעבר, כפי הנראה היה באחד ממחנות הריכוז, אבל הוא לא מדבר על כך. שמו רובי ליפסקי " [1] .

" نظمت حركات الشباب اليهودية رحلات إلى أبي الهول والأهرامات. وفي إحدى هذه الرحلات شاهدت لورا روبي لأول مرة، بعدما أتمت الثامنة عشر من عمرها، وذلك في رحلة تابعة لحركة مكابي الطلائعي ، حركة شبابية صهيونية . لاحظته عندما كان يركب الترام الذي نقلهم إلى الجيزة ، كان يقف بمفرده بجوار نافذة الترام ، ويبدو منطوياً على نفسه ، شخصية متبعدة ومنعزلة، منفصلة عن المجموعة المبتهجة التي كانت تغني وتمرح حوله . فأسرتها النظرة الحزينة التي انعكست في عينيه الخضراوين – الرماديين ، ولفتت انتباهها. " من هذا ؟" سألت المرشد شموئيل ، " انضم إلى الحركة في الأسبوع الماضي ، كان على ما يبدو في أحد معسكرات الاعتقال ، لكنه لا يتحدث عن ذلك ، اسمه روبي ليفسكي ".

وفي موضع أخر يؤكد حرية يهود مصر في ممارسة أنشطتهم الصهيونية في مصر ، واتضح ذلك في حوار لورا مع زملائها أريه وشموئيل في الكيبوتس عندما هاجرت إلى فلسطين حول بداية ظهور نشاط الحركة الصهيونية ، وأسبقية ظهورها في الدول العربية أم في الدول الأوروبية . إذ تقول الرواية:

קלרה מספרת לי על התנועה הציונית שלהם במצרים, שייסדו אותה כבר בתחילת המאה התשע עשרה, עוד לפני מלחמת העולם הראשונה ולפני הצהרת בלפור. "שמואל העיר בקרירות, "יש מסמכים המעידים על תנועות ציוניות פעילות במצרים כבר במאה התשע- עשרה, כמו לדוגמה, תנועות: 'מוריה' 'בני ציון' ו'בר כוכבא' " [2] .

([1]) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע"19 .

([2]) שם ، ע" 104 .

فها هي لورا تخبرني (أريه . الباحثة) عن الحركة الصهيونية في مصر ، التي تأسست في بداية القرن التاسع عشر ، حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، وقبل تصريح بلفور. وأبدى شموئيل ملاحظة في برود :" هناك وثائق تدل على وجود حركات صهيونية نشطة في مصر في البقرن التاسع عشر ، مثل حركات : موريا ، أبناء صهيون ، وباركوخبا".

فالمصادر العبرية تؤكد أن القوانين المصرية لم تفرق يوماً بين مصري وآخر على أساس اللون أو الدين (١) . كما تجدر الإشارة أن الحركة الصهيونية وجهود الصهيونيين لعبتا دوراً مهماً وبارزاً في إنشاء حركات ونوادي لإقناع يهود العالم بصفة عامة ويهود مصر بصفة خاصة على ضرورة إنشاء دولة يهودية ووطن قومي لهم في فلسطين ، وأن أي مكان أخر يعيش به اليهودي ما هو إلا شتات ؛ وذلك بهدف دفع يهود مصر للهجرة إلى فلسطين.

سادساً : الملامح والأبعاد الاجتماعية و الفنية الثقافية ليهود مصر:

• التعايش اليهودي العربي داخل مصر:

جسدت الكاتبة " عادا أهاروني" أحد المظاهر الاجتماعية في الرواية تجسيدًا واقعياً ؛ وهي العلاقة الطيبة التي كانت تربط بين المصريين ويهود مصر ، واتضح ذلك في الحوار الذي دار بين أم نسيم جدة لورا "زينة " وبين جارتها سعاد عندما علمت سعاد بيع نسيم المنزل ، واضطراره إلي ترك مصر والهجرة ، فحزنت على مغادرة جارتها . وحول ذلك تقول الرواية :

"מדוע את מדברת על גלות יא אום אברמינו؟ הרי אנחנו משפחה אחת، יא חביבתי،" אמרה סועד בכנות. "תולדותיהן של מצרים וישראל משותפות. אנו העמים העתיקים ביותר בעולם! לו יכול היה הספינכס לדבר، היה מספר הרבה בשבח עברנו המשותף והמפואר. הקשר בין שני העמים שלנו ותרבותנו חי וקיים ושום דבר לא יוכל לנתקו!"

"הלוואי שצדקת، יקירתי، כמה הייתי רוצה שהצדק יהיה עמך!" נונה הביטה בשכנתה הטובה، מזה ארבעים שנה، בכאב עמוק. "בני עיקש כפרד. הצעתי לו לחכות ולראות איך יתפתחו העניינים، אולי תחלוף הסערה והכל ישוב להיות כבעבר، אך הוא ממאן להקשיב לי. לו، לפחות، היה מתייעץ עמי، הוא פשוט לא מבין שאני אמות אם יהיה עלי לעזוב את ביתי במצרים! אני בת שמונים ושתיים، אני זקנה מדי להיות 'יהודייה נודדת' ולהתחיל הכל מחדש במקום אחר " (٢).

" لماذا تتحدثين عن الشتات يا أم نسيم ؟ فنحن عائلة واحدة يا حبيبتي ، " قالت سعاد في صدق " . فتاريخ مصر وإسرائيل مشترك . فنحن أقدم شعبين في العالم ! ولو استطاع أبو الهول التحدث ، لأخبر بالكثير عن ماضينا العريق المشترك . فالعلاقة بين الشعبين والثقافتين قائمة ولن يستطيع أحد قطعها !.

---

(١) כהן ،צידון שולמית .קהילות יהודי קהיר،מחנים על קהילות ישראל במזרח (א).צבא ההגנה לישראל ،תשכ"ב ، ע״ 78 .

(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע״ 82 .

" ليتك محقة يا عزيزتي ، فكم كنت أود أن يكون الحق معك ! " نظرت نونة إلى جارتها الطيبة منذ أربعين سنة في ألم عميق . " إن ابني عنيد مثل البغل . عرضت عليه الانتظار ورؤية كيف ستطور الأمور ، ربما تمر العاصفة ويعود كل شيء كما كان في الماضي ، لكنه يرفض الاستماع إليَ . لو أنه تشاور معي على الأقل ببساطة ، هو لا يدرك أني سأموت إذا اضطررت إلى ترك بيتي في مصر ! لقد بلغت الثانية والثمانين ، فأنا عجوز بدرجة كافية لأصبح يهودية مرتحلة ، وأن أبدأ كل شيء من جديد في مكان آخر ".

وموضع أخر يؤكد على تلك العلاقة الطيبة بين المصريين ويهود مصر ، إذ تقول الرواية:

בלבביות וליטפה את כתפה של נונה בתנועת יד מעודדת אם בנך יחליט לעזוב, אום אברמינו, תוכלי תמיד לבוא לגור אתנו. חביבתי, כבוד גדול יהיה לנו אם תשהי עמנו."

"תודה לך, אום פאוזי היקרה. לא יעלה על דעתי להכביד עליך ועל בני משפחתך. לא אוכל להסכים בשום פנים ואופן." ענתה נונה זינה, אך למרות סירובה, נגעה ההזמנה אל לבה, ופניה אורו קמעה."להכביד עלי? על בני משפחתי? את משפחתי, חביבתי, ואת יודעת זאת. אנחנו משפחה אחת מאז תקופת יוסף היהודי, היועץ החכם לפרעה, היה במצרים. אנחנו שתינו שכנות למעלה מארבעים שנה! האם אין זה מספיק, יא אום אברמינו? " [1].

بيتي هو بيتك " قالت في ود وربتت على كتف نونه في حركة مشجعة . لو قرر ابنك المغادرة ، يا أم نسيم ، يمكنك المجئ والإقامة معينا ياحبيبتي ، سيكون ذلك شرفاً كبيراً لنا ".

شكراً لك يا أم فوزية ياغالية . لن يخطر ببالي أن أثقل عليك أو على أفراد أسرتك . لن استطيع قبول ذلك بأي شكل " ردت نونه زينه ، لكن برغم رفضها إلا أن الدعوة مست قلبها وأضاء وجهها قليلاً .

" تثقلين علي وعلى أفراد أسرتي ؟! أنت أسرتي يا حبيبتي ، وأنت تعلمين ذلك . نحن عائلة واحدة منذ عصر يوسف اليهودي ، مستشار فرعون الحكيم ، الذي كان في مصر . نحن جيران منذ أكثر من أربعين سنة ! أليس كذلك كافياً يا أن نسيم ؟".

بالإضافة إلى وصف الرواية لبيوت ومنازل اليهود في مصر . واتضح ظهر عند وصف الأديبة لمنزل لورا بطلة الرواية . حول ذلك تقول الرواية :

רלף השתומם להיווכח שאתי גרה בבית גדול ומרשים המשקיף אל הים, על הקורניש המפורסמת של אלכסנדריה, ברובע החווילות של שכונת קלאופטרה. הוא התבונן בהתפעלות בסגנון הבנייה, והתרשם מהשפע ומהיופי של מעונה. "את גרה בארמון, נסיכה!" אמר בהערצה. היא חייכה בעליצות ולחצה את ידו בחיבה. הבית היה מוקף גדר אמנותית, ועליה טיפסו צמחי היסמין הריחני שהוסיפו בושם משכר לניחוח הערב. רלף נעצר ליד השער, מבטו נעוץ בגדר וגופו מתוח כקפיץ דרוך. "במיידאנק הייתה לנו גם גדר," אמר, "אבל עם זרם חשמלי, לא עם פרחים." אתי נעצבה אל ליבה שהוא לא היה יכול להשתחרר מהזוועות של עברו. עברו בשקט בגינה היפה, המלאה פרחי אמנון ותמר, ורדים, מגנוליה, קמליות ובוגונוויליה, פורחים בשלל - צבעי הקשת וגם שפע של צמחים אקזוטיים [2] .

([1]) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 83 .

([2])שם ، ע" 28

" وصلا إلى بيتها (روبي ولورا . الباحثة) ، ودهش روبي عندما رأى أن لورا تسكن في بيت كبير ورائع يطل على البحر ، على كورنيش الإسكندرية الشهير ، في منطقة الفيلات بحي كليوباترا ، تمعن في الطراز المعماري ، وأعجب بجمال مسكنها . أنت تسكنين في قصر يا أميرة ! ، قال بإعجاب .ابتسمت في فرح وضغطت على يده بحب . كان البيت محاط بسور فني تتسلقه نباتات الياسمين العطر ، التي أضافت عطراً ، مسكراً لرائحة المساء الذكية . توقف روبي بجوار البوابة ، وهو ينظر إلى السور وجسده مشدود كالسوستة في مايدنك (١) ، كان أيضاً عندنا سور ، قال : " لكن مكهرب ، وليس فيه زهور " ، حزنت لورا في نفسها من أنه لايستطيع التحرر من فظائع ماضيه . مرا في الحديقة الجميلة في هدوء ، الحديقة المليئة بأزهار البانسي ، والورود ، والماغنوليا ، والكاميليا ،والبوغنفيلية المزهرة بألوان قوس قزح ، وكذلك الكثير من النباتات النادرة ".

• العادات والتقاليد:

تأثر يهود مصر بالعادات والتقاليدالمصرية نظراً لتواجدهم في مصر ؛ حيث جرت العادة على تزويج الفتاة اليهودية في سن مبكرة طبقاً للعادات والتقاليد في مصر أنذاك ، فالشريعة اليهودية لا تتضمن سن محدد للزواج ؛ لذلك كان الآباء هم من يزوجون بناتهم في أعمار مختلفة يرونها العمر المناسب للزواج ، وكان الشائع أنذاك تزويج البنات في عمر التاسعة والعاشرة وحتى الرابعة عشرة. وقد أدرك بعض أبناء الطائفة اليهودية خطورة زواج الفتيات في سن مبكرة ، فالفتيات الصغيرات لا تستطيع فهم وجبات الزواج ومتطلباته وما يتطلبه من تضحيات ؛ لذلك وضع القانون الحد الأدنى لسن الزواج وهو ١٦ عام(2)، وجاء في الرواية ما يؤكد على تأثر يهود مصر بالعادات والتقاليد المصرية ، وذلك في الحوار الذي دار بين لورا وجدتها نونه ، وحول ذلك تقول الرواية: **ופנתה אל אתי בכובד ראש: "אתי יקירתי، כבר אינך ילדה، את נערה - בת שמונה עשרה، ועלייך לדעת להתנהג. בגיל זה כבר הייתי נשואה ובהריון!" אתי מיחתה, "בימינו נשים אינן נישאות בגיל צעיר כל כך, סבתא." אבל למה אני מסמיקה חשבה לעצמה, מזל שחשוך ונונה לא רואה את פני .**

"אז מה עשה כאן הבחור?" שאלה נונה בהרמת גבות מעל לעיניה היפות, החומות הבוהקות. "נונה, רק החודש הכרתי את רלף. אין לכך כל קשר עם נישואין!"

"אלוהים ישמור, פן תינשאי לאשכנזי!" ענתה נונה ושיחקה בחרוז הכחול שהיה קשור לשרשרת זהב דקה שעל צווארה כקמע נגד עין הרע. "יא חביבתי, יקירתי, אל תשכחי שאת בחורה ספרדייה, נצר למשפחת הנשר הגדול [٣] **.**

" توجهت (نونه . الباحثة) إلى لورا في احترام : " عزيزتي لورا ، لم تعودي طفلة ، أنت شابة في الثامنة عشر ، وعليك معرفة كيفية التصرف . أنا كنت في عمرك هذا متزوجة وحامل . اعترضت لورا ، " في عصرنا النساء لا تتزوجن في هذا السن الصغير يا جدتي" . لكن لماذا احمرت وجنتاي ، قالت في نفسها ، من حسن الحظ أن هناك ظلاماً ونونه لا ترى وجهي .

---

(١) معسكر نازي في ألمانيا .

(٢) رشاد رمضان عبد السلام : النشاط اليهودي في مصر، ١٨٩٧-١٩٢٣ ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٥٩.

(٣) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע״ 34 - 33 .

إذن ماذا كان يفعل الفتى هنا ؟ سألت نونه وهي ترفع حاجبيها فوق عينيها الجميلتين اللامعتين بلونهما البني نونه لقد تعرفت على روبي هذا الشهر فقط ، ليس لذلك أي علاقة بالزواج " ربنا يستر ، وألا تتزوجي من أشكنازي !" أجابت نونه مداعبة الخرز الأزرق الذي كان معلقاً في السلسة الذهبية الرفيعة على رقبتها كالحجاب ضد الحسد". ياحبيبتي لا تنسي أنك فتاة سفاردية ، من عائلة النسر الأكبر(١).

الفن والثقافة :

قد نبغ العديد من اليهود المصريين في مجالات فنية مختلفة في القرن العشرين ومنهم الفنانة ليلى مراد اليهودية ، وغيرها . وحول ذلك تقول الرواية :

זיו עונת האביב עמד באוויר ומודעות עליזות בישרו על התוכניות הצפויות, בהשתתפות הזמרות המצריות הידועות: אום כולתום, ולילה מורד היהודייה. לאחר מכן, הקומדי פרנסז מפריס, התיאטרון השקספירי מסטרטפורד און אייבון, הרויאל פסטיבל בלט של לונדון, אופרות איטלקיות שונות מה סקאלה דה מילנו, - וכן התזמורת הפילהרמונית הפלשתינית מתל אביב, בניצוחו של טוסקניני הדגול. "איזה מגוון עשיר של רב תרבותית!" העיר רובי בהערצה. "אתם נהנים כאן מהטוב שבכל התרבויות!" קלרה - חייכה, מאושרת על שהוא נהנה, אך הערתו הבאה הפתיעה אותה, "וכל זה בטווח השגתם של היהודים!"

"ומדוע לא?" שאלה בתמיהה בעודם ממהרים להיכנס. נשמע צלצול ראשון המזמין את הקהל להתיישב במקומות. היא הוסיפה: "היהודים יכולים להרשות לעצמם לקנות את הכרטיסים היקרים, הם מבינים את השפות השונות ויודעים להעריך את מופעי התרבות השונים "

"באירופה הנאצית לא הרשו ליהודים גישה לתיאטראות ולתרבות" לחש לה רובי כאשר התיישבו במקומותיהם, "גם כאשר היה בידם לשלם עבור זאת."

"אבל אל תשכח שאנחנו במצרים, לא באירופה," השיבה בלחש.

"אירופה עדיין מלקקת את פצעיה מלאי המוגלה מהמלחמה הארורה, ואתם חיים פה כאילו כלום לא קרה. ונהנים מכל העולמות!" העיר בציניות [٢] .

" هبت بشائر فصل الربيع ، وكانت الاعلانات المبهجة تبشر بالبرامج المرتقبة ، بمشاركة المطربات المصريات المعروفات : أم كلثوم ، ليلى مراد اليهودية . وبعددها ، المسرح الفرنسي ، والمسرح الشكسبيري من ستراتفورد أبون آفون ، ومهرجان البالية الملكي للندن ، والأوبرات الإيطالية المتنوعة من سكالا دي ميلانو ، وكذلك الفرقة السيموفونية الموسيقية الفلسطينية من تل أبيب ، بقيادة توسكانيني الشهير.

يا له من تنوع ثري للثقافات المتعددة! قال روبي في تقدير . " تستمتعون هنا بالأفضل من جميع الثقافات ! " ابتسمت لورا ، وهي سعيدة أنه مستمتع ، لكن ملاحظته التالية فاجأتها : " وكل ذلك في متناول اليهود!"

---

(١) موسى بن ميمون .

(٢) עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، ע" 59 .

" ولما لا سألت في دهشة وهما يسرعان للدخول . سمع صوت الجرس الأول الذي يدعو الجمهور إلى الجلوس في مكانه . وأضافت : " اليهود يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم أن يشتروا التذاكر الغالية ، فهم يفهمون لغات مختلفة ، ويقدرون جيداً العروض الثقافية المختلفة ".

في أوروبا ، لم يسمح النازيون لليهود بالاقتراب من المسرح والثقافة " وهمس لها روبي جلوسهما في مقعديهما ، " حتى عندما استطاعوا الدفع مقابل ذلك". لكن لا تنس أننا في مصر ،وليس في أوروبا " . ردت هامسة . أوروبا لا تزال تلعق جراحها المتقيحة من الحرب اللعينة ، وأنتم تعيشون هنا كما لو كأن شيئاً لم يحدث ، وتستمتعون بالعوالم كلها.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ظهور اهتمام خاص وبارز بمصر في الأدب العبري الحديث لدى الأدباء الإسرائيليين ، وخاصة أولئك الذين نشأوا في مصر ، وترعرعوا وتمتعوا بخيراتها ، وعلى رأسهم عادا أهاروني – محل الدراسة – ؛ حيث شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في أعمالها الأدبية الشعرية والنثرية.
- معرفة أحوال ووضع يهود مصر في القرن التاسع عشر حتى إعلان قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ ، وهجرة يهود مصر إلى إسرائيل .
- نجحت الكاتبة عادا أهاروني فى تجسيد الواقع المصري ، ونقل صورته الحقيقية فى القرن التاسع عشر حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨؛ حيث كان التناول بشكل أكثرجرأة وتفصيلاً للأحداث ومشابهاً بما حدث على أرض الواقع .
- كشفت الرواية محل الدراسة تأثر الكاتبة عادا أهاروني بيئتها المصرية ، وظهر ذلك من خلال وصفها الحياة اليهودية في مصر ، كما جاءت اللغة متناسقة مع البناء والسلوك الاجتماعي لشخصيات الرواية .
- عبرت رواية " من النيل إلى الأردن" عن تجربة ذاتيه عاشتها الأديبة عادا أهاروني ؛ فالرواية بمثابة سيرة ذاتيه لها وللطائفة اليهودية .
- أشارت رواية " من النيل إلى الأردن" أن مصر كانت ملجأ لليهود الهاربين من الأحداث والاضطهادات التى تعرضوا لها في أوروبا .
- أشارت رواية " من النيل إلى الأردن" أن يهود مصر تمتعوا بالحرية الكاملة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية ، بالإضافة إلى حريتهم في ممارسة الأنشطة الصهيونية في مصر مثل حركة مكابي الطلائعية ، وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: باللغة العربية:

أ- المراجع:

١-الكتب:

- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر (ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ،القاهرة ، ١٩٨٣.
- أحمدهيكل:الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.
- جمال الشاذلي: التاريخ اليهودي ، يهود الدول العربية ويهود أمريكا ، (بدون ناشر) ، القاهرة ، ٢٠٠٥
- رجائي و ياسر طالب: تشكيل العقل الصهيوني (السعي نحو يهودية الدولة)،دار الخليج ، ط٢، الأردن ، ٢٠١٧ .
- رشاد رمضان عبدالسلام : يهود مصر، ١٩٢٢-١٩٥٦ ،م طبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، ٢٠١٤ .
- زبيدة محمد عطا : يهود مصر التاريخ السياسى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، الجيزة ، ط١ ، ٢٠١٠ .
- عواطف عبد الرحمن :المشروع الصهيونى الاختراق الصهيونى لمصر من ١٩١٧ ، العربي للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٧ .
- محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
- محمد خليفة حسن : تاريخ النبوءة الإسرائيلية المبحث الأول ظاهرة النبوءة الإسرائيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- _____ : التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم ،(بدون ناشر) ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
-

٢ -أجزاء الكتب:

- جمال الشاذلي : صورة مصر فى رواية "المنفيون" لديبورا بارون ، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة ، مج ١٧ ، ٢٠٠٥ .

- رشاد عبد الله الشامى: إشكالية اليهودية في إسرائيل، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ط١ ، العدد ٢٢٤ الكويت ، ١٩٩٧ م .

- محمود سعيد عبدالظاهر: يهود مصردراسة في الموقف السياسي١٨٩٧ – ١٩٤٨، جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد ١٧ ، ٢٠٠٠ .

- نجلاء رأفت : يهود مصر بين أحاسيس البقاء ونوازع الهجرة دراسة في رواية "بلانش" لإسحاق جورمزانو جورين ، مركز الدراسات الشرقية ، مج ١٧ ، ٢٠٠٥ .

٣-المعاجم والقواميس والموسوعات:

- دافيد سجيف عبري-عربي للغة العبرية المعاصرة ،المجلد الأول ،دارشوكن، أورشليم وتل أبيب، ١٩٩٠م.

٤-الرسائل العلمية :

- رشاد رمضان عبدالسلام : النشاط اليهودي في مصر، ١٨٩٧-١٩٢٣ ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ٢٠٠٢ .

٦-المقالات والمقابلات و المواقع الإلكترونية:

-عادا أهاروني : يهودية عن ممتلكاتهم في مصر، حوار في جريدة التحرير ، بتاريخ ٣٠/ ٧/ ٢٠١٦ ، منشور على الرابط الآتي: /https://www.tahrirnews.com/posts/449874

ثانياً : باللغة العبرية :

א- המקורות:

- עדה אהרוני : מהנילוס לירדן ، תמוז، תל אביב – ישראל ،2017.

ב- הספרים:

- יהודה ניני : יהודי מצרים،חיי יום יום ،והשתקפותם בספרות השו"ת(תרמ"ב-תרע"ד) אוניברסיטת ת"א ،ת"שם .

- כהן ،צידון שולמית .קהילות יהודי קהיר،מחנים על קהילות ישראל במזרח (א).צבא ההגנה לישראל ،תשכ"ב .

ג - אתרי אינטרנט :

- אתר " לקסיקון הספרות העברית החדשה :
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00373.php
- פרופי עדה אהרוני : דרכי תקוה :
https://www.hopeways.org/h_index.htm?page=h_ada01
- אתר הבית של עדה אהרוני : http://www.iflac.com/ada/heb
- אתר האינטרנט הרשמי של עדה אהרוני : http://www.adaaharoni.com
https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%A2%D7%93%D7%94_%D7%90%D7%94%D7%A8%D7%95%D7%A0%D7%99

https://en.wikipedia.org/wiki/Ada_Aharon

עדה אהרוני : הפליטים היהודים של 48' מקווים לקבל את רכושם חזרה ، עיתון הארץ ، בתאריך ٢٠١٧/٨/١
https://www.haaretz.co.il/news/education/.premium-1.3021975

ثانياً: باللغة الإنجليزية :

١- الكتب :

Jacob M. Landau: Jews in nineteenth-century Egypt , New York University,1969